



ديوان
مصطفى فتح الله الحموي

إعداد وتقديم

ماجد الحكواتي







ديوان
مصطفى فتح الله
الحموي




إعـــداد وتقديم

ماجد الحكواتي

الطبعة الأولى

2018






الطبعة الأولى: ٢٠١٨





المقدمة

١ - ظلال من ترجمة:

من المفارقات أن كاتب أكبر موسوعة لتراجم أعلام القرن الحادي العشر الهجري، والعلامة الذي حاول أن يضيء المشهد الثقافي العربي على اتساعه المكاني والزماني بقي في الظلام.

رهن مصطفى الحموي مسيرة حياته لينسج صورًا شخصية لأعلام قرن كامل ولم ينسج صورة شخصية له كما فعل البعض من صناع التراجم، لعله في انشغاله اليومي بإبراز قسمات معاصريه، نسي نفسه، أو أنه رأى صورته في مرآة الآخرين التي عمل على جلائها، وهذا الإغفال سواء كان عن قصد أو عن غير قصد يحسب لهذا المؤلف الكبير تواضعًا وتغليبًا للضمير الجمعي على الضمير الفردي.

ولكن هل حاول الآخرون من صناع التراجم إنصاف هذا الرجل وتدارك ما فاته ؟ لا نجد على كثرة كتب التراجم التي بين



أيدينا من أعطى هذا العالم حقه من التعريف، وكل ما كتبوه عنه لا يتعدى كلمات قليلة يمكن أن تعدّ، قطرات شحيحة لا تروي بل تزيد من الظمأ.

عشر من التراجم من معاصريه وممن تلاهم لا تقول إلا أقل القليل. في ذكر نسبه يقف النسب عند أبيه فتح الله ولا يتجاوزه، وفي ذكر انتسابه هناك ثلاثة انتسابات: الحموي، حيث الأصل، والمكي حيث المستقر، والشافعي وهو المذهب.

وثمة تباين في تحديد سنة الوفاة إذ تتراوح بين أبكرها وهي سنة ١١١٧ هـ (نفحات العنبر، ونشر العرف) وأقصاها وهي سنة (١١٣٤هـ) (بروكلمن) والأغلبية تقف عند سنة ١١٢٣ هـ. وتباين آخر في مكان الوفاة بين مدينة ذمار اليمنية (نفحات العنبر–الأعلام – نشر العرف– هدية العارفين) ومكة المكرمة (ينفرد بها معجم المؤلفين).

أما تاريخ الولادة فلا أحد يشير إليه، وتذكر ثلاث تراجم مكان ولادته في حماة (الأعلام – معجم المؤلفين – سلك الدرر) وتتغافل عنها باقي التراجم.

وبخصوص مؤلفاته تجمع التراجم على كتاب «فوائد الإرتحال ونتائج السفر» ويضيف إليه «هدية العارفين» «الديمة الوطفا في



مراجعة المصطفى على قصيدة السوسي» كما يذكر مؤلف «سلك الدرر» (وله غير ذلك) دون أن يحدد هذا الغير.

وتذكر التراجم تنقله بين دمشق ومكة واليمن، ويعدد الجبرتي أسماء بعض شيوخ مصطفى، وإذا أمكن التماس العذر لمعظم المترجمين لأنهم لم يلتقوا بالمترجم له، فإن واحدًا منهم كان على علاقة وطيدة به هو محمد أمين المحبي، فقد التقى به في مكة المكرمة ثم في مدينة الطائف، وتبادل الرسائل والأشعار معه، وخصص المحبي لصديقه ترجمة من إحدى عشرة صفحة في الجزء الأول من (نفحة الريحانة)، ولكن هذه الترجمة المطولة ترجمة خادعة إذ تشبه كومة من القش يتخللها عدد محدود من حبات البرّ، والسبب في هذا الخداع هو شغف كتاب هذه المرحلة بالبلاغة اللفظية، وانسياقهم وراء ما يوفره ثراؤهم اللغوي من قدرة على التشكيل اللغوي المجرّد، مما جعلهم يتغافلون عن الهدف الأساسي من اللغة وهو التعبير، والخاصية الجمالية للغة لا يمكن أن تنفصل عن خاصيتها الأساسية في التعبير وإلا فقدت اللغة إشعاعها الإيحائي وهو أهم خصائصها الجمالية.



من هنا فإن تراجم المحبي في (نفحة الريحانة) وتراجم كثير من معاصريه غدت حجبًا للواقع بدل أن تكون كشفًا له، فقدت شفافيتها





وقدرتها على عكس الواقع الذي اختفى تحت ركام من ألفاظ انفصلت عن جذورها الواقعية وأصبحت معلقة في الفراغ.

ما نستفيده من هذه الترجمة المطولة أن مصطفى كان في حجر خاله وهو دون التمييز، وقدّر الله له المهاجرة فأصحبه في كنفه الحريز، ثم رحل واغترب، ونقب في الحجاز واليمن. .. حتى استقر بالحرم المكي، ويفيدنا المحبي، أن مصطفى جمع تاريخًا اطلع عليه، وأوقفه على مجاميع اقتطف منها ما حلا وطاب، واختار له قصيدة من مجموعه.

هذا كل ما يصل إلينا عن مصطفى الحموي في هذه الترجمة المطولة، وفي ما قبلها من تراجم موجزة، وهو لا يشكل صورة لهذا العلم إنما هو أشبه بالطلل الذي تخلفه القبائل الراحلة وراءها، هذا الطلل الذي يمثل إثباتًا للوجود في مكان معين لا صورة لهذا الوجود.

وإذا كنا لا نعثر على ترجمة حقيقية فيما خُصّص من ترجمات مبتسرة لمؤلف «فوائدالإرتحال» فإن علينا أن نتجه إلى التراجم التي صاغها المؤلف لغيره لعلنا نجد فيها أطيافًا من شخصيته ومسيرته.

في البدء تواجهنا مسألة تحديد البلد التي ولد فيها المؤلف والفترة الزمنية لهذه الولادة، وإذا كانت بعض التراجم قد أشارت



إلى ولادته في مدينة «حماة» فإننا لا نجد في الكتاب أي ذكريات للمؤلف عن هذه البلدة، والمرة الوحيدة التي يشير فيها إلى حماة كانت إشارة من الخارج لا من الداخل فهو يعرف البلدة بقوله: «هي بلدة لطيفة بالشام بها عدة مدارس ومساجد ويسقيها نهر العاصي»(١).

مما يدل على أحد أمرين: إما أنه لم يولد في حماة، أو أنه ولد فيها ثم انتقل منها قبل أن تتفتح ذاكرته إذ إن أول تفتح لذاكرة مصطفى كان في مدينة دمشق، ولو أردنا تحديد الفترة الزمنية للولادة فإن القرينة الأساسية في ذلك هم الزملاء الذين توطدت صداقة مصطفى بهم، وكان بعضهم زملاءه في الدراسة، نذكر منهم عبدالباقي ابن السمان. ... الذي يقول عنه المؤلف: «كان» صديقي وشقيق روحي، لا أكاد أفارقه ويفارقني في غالب الأوقات»(٢)



وقد ولد سنة ١٠٥٥ هـ، والثاني في مصر وهو ابن الميت يذكره المؤلف «صاحبي ورفيقي في الطلب وشريكي في الجثي بين يدي المشايخ على الركب»(٣) وقد ولد سنة ١٠٥٤ هـ، وإذا وضعنا أمامنا

---

(١) فوائد الارتحال: ٣٧٨/١.
(٢) فوائد الارتحال: ١١٢/٢.
(٣) فوائد الارتحال: ١٠٣/٢.





سنة ١٠٦٤ هـ كأول رحلة لمصطفى إلى اليمن ولا يمكن أن يقوم بهذه الرحلة قبل سن الشباب فإن الأرجح أن ولادته كانت في الأربعينيات من القرن الحادي عشر الهجري.

وإذا انتقلنا إلى أفراد عائلة مصطفى فإن ما يذكر منهم في الكتاب ثلاثة فقط: الأب فتح الله ويتحدث عنه عابرًا في موقفين، في ملازمته للشيخ موسى القليبي وهو من كبار علماء المالكية في مصر . ... إذ يذكر عنه أنه كان بينه وبين والده مودة وصداقة، والمناسبة الثانية وفاة خاله إذ يشير إلى أنه «دفن على والدي في تربة المجاورين»[1] من هاتين الإشارتين العابرتين نستنتج أن الأب توفي ومصطفى صغير دون سن التذكر، وأن الأب الذي لا نشاهده في المرحلة الدمشقية، سافر إلى مصر بعد ولادة مصطفى بسنوات قليلة للتجارة أو للدراسة، أو لكليهما، وأنه توفي ودفن هناك.

والشخص الآخر الذي يمر سريعًا هو أخوه شاهين إذ يذكر مصطفى لقاء عابرًا جمعه بنقيب أشراف دمشق – كان شاهين يدرس على يديه – إذ شاهد النقيب مصطفى برفقة أخيه شاهين،

(١) فوائد الارتحال: ٣١٣/١.



فقال مخاطبًا شاهين: «إني أتفرس في أخيك أن يصير عالمًا»[1] مما يدل على أن «شاهين» كان أكبر من «مصطفى».

أما الشخص الثالث الذي كان له أثر كبير في حياته، وهو من كفله بعد وفاة أبيه، وكان المعلم الأول له، هو خاله محمد بن حسين الأشقر، ويذكر عنه مصطفى بكل تبجيل أنه ولد في حماة سنة ١٠٢٤هـ ثم هاجر مع والده وأهله وتوطن دمشق ، بسبب جور حكام حماة، وبعد عدة سنين رحل إلى مصر وأخذ عن علمائها، وكتب بخطه كتبًا كثيرة، وتكرر سفره إلى مصر للتجارة، وسافر إلى اليمن مرتين، وجاور بالحرمين لعدة سنين ثم توطن بمصر وتوفي فيها .

كان المشروع الثقافي الذي نذر مصطفى نفسه منذ حداثته لتحقيقه يقتضي الارتحال والسفر لتحقيق النتائج التي يتوخاها، ولم يكن الاطلاع على المؤلفات المتاحة والتراسل مع الأدباء – وهما من الوسائل التي اتبعها مصطفى – قادرة على أن تغطي كل مساحات حلمه، وكانت المحطة الأولى التي وجد نفسه فيها مصطفى هي دمشق عاصمة بلاد الشام ففيها بدأ تفتح وعيه وذاكرته، يذكر مصطفى من هذه المرحلة داره التي حدد موقعها قرب مشهد نورالدين الشهيد،

(١)فوائد الارتحال: ٢/٦٤.



دون أن يذكر من شغل هذه الدار سوى أخيه شاهين الذي يمر اسمه بشكل عابر. وما يرويه مصطفى عن دمشق يقتصر على مشاهد متكررة. هي رؤية بعض علماء دمشق، ويسرد من هؤلاء العلماء أحد عشر عالمًا بالإضافة إلى خاله محمد الأشقر، ومن هؤلاء العلماء: محمد المحاسني، وأبوالسعود الغزي، ومحمد الحمزاوي، وأحمد الأسطواني، وتتوافق الرواية في كل هذه المشاهدات على أن مصطفى كان في سن صغيرة ودون سن الاحتلام، وكان موقفه من هؤلاء العلماء هو موقف التبجيل والاحترام فكثيرًا ما كان يقبل أيدي بعضهم، وكان يستمع بخشوع إلى دعاء هؤلاء العلماء له.

ولم تقتصر علاقته بالعلماء على المشاهدة بل كان له صلات حميمية مع بعضهم حيث يغشى هذا الفتى بيوتهم. وكان هذا الفتى يسعد وهو يقوم بالخدمة في مجلس علمي كان يجمع خاله مع أبي السعود الغزي، وفي هذه السن الصغيرة بدأ مصطفى مشواره العلمي إذ كان يحضر دروس أحمد الأسطواني مع خاله، ولكن معلمه الأول في هذه المرحلة هو خاله وإن لم يفصح عن نوعية العلوم التي كان يتلقاها.

كانت المرحلة الدمشقية تتزامن مع سن الطفولة واليفاعة، وبها بدأت خطوات مصطفى التعليمية الأولى، ولم نشاهد من دمشق،



هذه المدينة العريقة، سوى هذه اللقطات لمصطفى وهو يشاهد بعض علماء دمشق البارزين، كان هذا هو كل ما يشده من دمشق الزاخرة بأطياف المشاهد المتنوعة والمتباينة.

وهناك مشهد دمشقي آخر نرى فيه مصطفى، وهو في سن الشبيبة، في أحد بساتين دمشق مع رفيق صباه الشاعر ابن السمان، ونرى مصطفى وكأنه قد عاد إلى دمشق بعد فراقه لها يستمع إلى الطرب الشامي ويتبادل مع صديقه الأشعار.

ولكن لم تكن دمشق بكل بيئاتها العلمية تتسع للفضاء الثقافي الذي كان يحلم به مصطفى على امتداد قرن من الزمان وعلى مساحات لا حدود لها تغلغلت فيها الثقافة العربية، كان بحاجة إلى مكان تختزن فيه الثقافة العربية بكل تجلياتها، مكان يطل على عوالم هذا الثقافة اللامتناهية ويتمكن منه من رصد تموجات هذه الثقافة وتفاعلاتها ولم يكن هذا الخزان الثقافي إلا الأزهر الشريف، ولم يكن هذا المكان المرصد إلا القاهرة المعزية، لم يحدد مصطفى السنة التي غادر فيها دمشق إلى القاهرة ولكن هناك إشارة وردت في ترجمة شيخ الأزهر منصور بن عبدالرزاق الطوخي يقول مصطفى: «كنت أتردد إليه من صغري وأدخل عنده إلى بيته[1]».

---

(١) فوائد الارتحال: ٦/١٩٤.



تؤكد هذه العبارة أن مصطفى توجه إلى القاهرة وهو في سنّ صغيرة، ومخاطر السفر لم تكن تتيح لمثل من هو في هذه السن أن يسافر بمفرده فالأغلب أنه كان مصاحبًا لخاله في هذا الارتحال. بل قد تكون هجرة للعائلة إذ نجد أمين المحبي يلتقي في مصر بأخي مصطفى الأكبر شاهين وينقل عنه قصائد من الشعر[1]. في القاهرة تبدأ المرحلة التعليمية الأساسية في حياة مصطفى إذ التحق بالأزهر الشريف ذلك الصرح الذي غدا قيمًا على الثقافة الدينية وعلوم اللغة العربية خلال العصر الوسيط، ولا نجد في كتابه أي ذكر لمعالم من القاهرة إلا للأزهر ومشايخه إذ استوعب الأزهر بكل ما له من جلالة وثراء علمي هذا الطالب المتفتح لكل زاد علمي والمتطلع إلى كل مادة يمكن أن تضاف إلى معجمه الكبير، ويذكر مصطفى في كتابه قرابة العشرين من مشايخ الأزهر الذين تتلمذ على أياديهم، ومنهم على سبيل المثال: موسى الأنصاري، ومحمد المنزولاي، ومحمد البابلي، ومحمد الشرنبابلي، وأحمد البشبيشي، ومنصور الطوخي، وسلطان المزاحي، وعبدالسلام اللقاني.

ولم تكن العلاقة بين مصطفى وأساتذته تنحصر في مجرد التلقي العلمي بل كانت أقرب إلى علاقة المريد بمرشده، وكما يذكر

---

(١) نفحة الريحانة: ١/٤٥٢.



مصطفى في مقدمة كتابه: «العالم بالنسبة إلى مقتبس علمه بمنزله الوالد[1] بل أفضل» وهذا النسب العلمي الذي يشد مصطفى إلى أساتذته جعله يرتبط بصداقة عميقة مع معظم أساتذته، يذكرهم بإجلال ويزورهم في بيوتهم ويقبل أياديهم، بل كان للعائلة دور في توثيق الروابط ببعض هؤلاء المشايخ فموسى القليبي وهو من أكابر علماء المالكية بمصر «كان بينه وبين والدي مودة وصداقة وكنت ملازمًا له كثيرًا»[2].

وتمتد هذه العلاقة العائلية إلى القطب الكبير محمد بن زين العابدين البكري: إذ يقول مصطفى عن هذه العلاقة: «تشرفت بحضور مجلسه في بيته كثيرًا وقبلت يده، وكانت جماعتنا من المنسوبين في مصر إليهم، ومن الملازمين لهم[3] في مجالسهم». وتتجسد هذه العلاقة الحميمية التي تربط مصطفى بمشايخه في الوفاء لهؤلاء عند وفاتهم، فعند وفاة محمد بن زين العابدين البكري سنة ١٠٨٧ هـ، نجد مصطفى: «وما منَّ الله به عليّ حضور غسله

---

(١) مقدمة فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٣٣.

(٢) فوائد الارتحال: ٦/٢١٤.

(٣) فوائد الارتحال: ١/٤٢٥.



والصلاة عليه»[1]. ومما كان يتميز به الأزهر أنه كان واحة علمية تصب فيه روافد من مختلف الأرجاء العربية والإسلامية.

ومن هذه الروافد التي زادت في ثراء الأزهر أن القاهرة كانت محطة ومعبرًا لعلماء المغرب العربي، وهم في طريقهم لأداء فريضة الحج، وكانت إقامة بعضهم تطول في القاهرة، وكانوا يجدون في أروقة الأزهر مجالاً رحبًا لنشر ما اختزنوه من علم ولمساجلة علماء مصر في آرائهم وأفكاهم.

وكان مصطفى يغتنم هذه الفرص لإقامة علاقات شخصية معهم ولمدارسة بعض ما أتقنوه من مؤلفات التراث وإضافة تراجمهم إلى معجمه. وطلب الإجازة منهم. وممن التقى به مصطفى: محمد المرابط الدلائي، ومحمد بن محمد الدرعي، وعبدالملك السجلماسي، ويحيى بن محمد الجزائري، ويحيى بن محمد بن شبل.

وفي القاهرة وفي مركزها العلمي المقدس أمضى مصطفى أخصب فترة تعليمية في حياته امتدت سنوات طويلة منذ سنوات اليفاعة وحتى استوى عوده في مرحلة الشباب والنضج، وكان الزاد العلمي الذي جناه مصطفى يضم شريحة واسعة من علوم الدين: من

---

(١) فوائد الارتحال: ١/٤٢٨.





تفسير، وفقه، وتجويد، وحديث نبوي، وسيرة نبوية، ورقائق روحية، وإلمام بعلوم العربية: من نحو، وصرف، وبلاغة، ومن علوم المنطق.

وتابع مصطفى في هذه المدينة الزاخرة بالأعلام وبمن يتردد إليها تزويد معجمه بإضاءات لأعلام الأدب والشعر والتصوف ممن يلتقي بهم، ومن يقرأ عنهم، ومن يستمع إلى من يعرفهم.

ولكن كل ما جناه مصطفى من ثمار القاهرة والأزهر لم يكن يرضي طموحه، ولم يكن يلبي حلمه الأكبر باتساع معجمه لأعلام قرن كامل وعلى امتداد الوطن العربي، وكان عليه أن يقوم بنقلة أخرى، وأن يختار مركزًا آخر يتوفر فيه المحصول الثقافي الوفير ويكون محطة تلتقي عندها دروب ومسارات كثيرة، وهداه تفكيره للانتقال من قداسة الأزهر إلى المدينة الأكثر قداسة في الوطن العربي، مكة المكرمة، فقد ظلت هذه المدينة – على ما تمتع به من عبق روحي، وتاريخ حافل – على مدى التاريخ الإسلامي بمسجدها الحرام مركزًا ثقافيًا عامرًا لا تنقطع الدروس والمحاضرات في باحاته ليلاً ونهارًا وكانت مكة ملتقى للوافدين عليها من مختلف أرجاء الوطن العربي والإسلامي.



انتقل مصطفى من وسط الوطن العربي إلى جنوبه واختار الإقامة في المدينة المقدسة التي أتاحت له بما تحتويه من أعلام وبما



يتردد عليها من حجيج وبجوارها لليمن الخزان الثقافي الكبير أن يكمل الدائرة في معجمه، استغرقت إقامة مصطفى في مكة المكركة الشطر الأكبر من حياته فهو يقول: «جلست بمكة عمرا[1]» ولم يحدد بدء هذه الإقامة وإن كنا نرجح أنها في إحدى سنوات العقد السابع من القرن الحادي عشر، ولكن مصطفى يذكر أنه كان في مكة سنة ١١٨٠ هـ وامتدت هذه الإقامة حتى الأيام الأخيرة من حياته.

وكانت هذه المدينة لمصطفى مقرًا ومنطلقًا في الوقت ذاته، فهو يتردد في الحجاز على الطائف والمدينة المنورة وجدة، ويلتقي بمشايخ من مختلف أرجاء المعمورة من الحجازيين، مثل: حسن العجمي المكي، وعبدالله الباشكندري المكي، وعلي بن عصام الدين المكي، والشريفة قريش الطبري، واليمنيين المقيمين في الحجاز مثل: أحمد السيؤوني، ومحمد بن أبي بكر الشلي، ونزلاء ومجاوري الحرمين من أقطار شتى، من سورية محمد البكفالوني الحلبي، ومحمد السروجي الدمشقي، ومن فلسطين عبدالقادر الغصين الغزي، ومن الأفغان محمد الهروي الطباطبي، ومن تركيا محمد مرزا الرومي، ومن إيران محمد شفيع الاسترابادي، ومن المغرب عبدالرحمن المكناسي، ومن العراق محمود الموصلي مفتي الموصل، ومن الأكراد إبراهيم

---

(١) فوائد الارتحال: ٥٣٣/١.



الكوراني، كوكبة كبيرة من العلماء كان يجد في صنوف معارفهم إرواء لتعطشه الدائب للعلم، وفي الإلمام بسيرهم.

وفي إقامتة الطويلة في الحجاز كان لمصطفى تجربة من نوع آخر هي التجربة الصوفية التي لم يكن له سابق معرفة بها، فيروي مصطفى أنه دخل على عبدالرحمن المكناسي المغربي في بيته بمكة فقال له: «ما تقول في الصوفية، فسكتّ لعدم معرفتي لشيء في ذلك.. أمرني جازمًا باعتقاد الصوفية ومطالعة كتبهم، ومن ذلك الوقت ملئت اعتقادًا لهم ومحبة فيهم وألبسني الخرقة الشريفة[1]»، وهناك شيخ آخر هو محمد الهروي الطباطبي أخذ عنه مصطفى في مكة المكرمة شيئًا من علوم الطريقة وألبسه الخرقة الصوفية، ولكن هذا الاندماج في النسق الصوفي لم يخرجه من اعتداله، واستمر على تسامحه وبناء الجسور مع كل الأنساق الفكرية والمناهج، فلم ينغمس في الخصومة الحادة بين الفقهاء والصوفية، ولم يوافق على نزعة التكفير التي أشهرها بعض الفقهاء ضد خصومهم من المتصوفة.

وخلال إقامة مصطفى الطويلة في مكة المكرمة كان دائم التردد على مصر فنراه في مصر في سنوات ١٠٧٥ هـ، ١٠٧٧ هـ، ١٠٨٥ هـ، ١٠٩٠ هـ، ١٠٩٧ هـ، ولكن الكسب الأكبر الذي جناه مصطفى

(١) فوائد الارتحال: ٥/١٥.



من خلال إقامته في الحجاز كان جواره لليمن ذلك الخزان الكبير للمعرفة والثقافة العربية على مر العصور.

لم يكن لمشروع مصطفى الثقافي أن يكتمل دون اليمن فقام بالرحلة الأولى سنة ١٠٦٤هـ. وكانت من مصر ولكن قربه من اليمن، وهو مقيم في الحجاز، أتاح له عدة رحلات إلى اليمن فنراه في سنة ١٠٩٤ في المخاو واللحية والقنفذه والزيدية، وفي سنة ١١٠٦ في المحويت، وفي سنة ١١٠٧-١١٠٨ في صنعاء، وفي سنة ١١٠٩ في رداع.




وفي هذه الرحلات التي جاب بها مدن اليمن ومراكزه الثقافية التقى مصطفى بعدد وافر من علماء اليمن وأدبائه، نذكر منهم: الحسن بن إسماعيل بن القاسم بن محمد، وعلي بن أحمد السماوي، وعزالدين الحسني، وموسى العجيل، ويحيى المنسكي، وعلي بن سليمان الموسوي، وجلس وهو في سن متقدمة أمام هؤلاء الأعلام يستمع إلى دروسهم بعد أن خاض تجربة تعليمية واسعة، وتلقى من موسى العجيل شيخ بيت الفقيه الأكبر الذكر على الطريقة النقشبندية ولبس منه الخرقة القادرية وأجازه، وبعث برسائل إلى عدد من الأدباء الذين لم يلتق بهم لكي يوافوه بسيرهم وبأشعارهم، وحاول خلال هذه الرحلات المتعددة أن يلقي الضوء على فعاليات اليمن الأدبية



والثقافية في هذه البعقة المنزوية على أطراف الوطن العربي، وأضاف إلى معجمه كوكبة كبيرة من علماء اليمن وأدبائه مما منح معجمه الصفة الشمولية لرصد الواقع الثقافي العربي في معظم مراكزه.

وإذا كانت مرحلة التعلم لدى كثير من العلماء تتوقف عند لحظة معينة حين يشعر المتعلم أنه استوعب ما طمح إلى دراسته وأن عليه أن يتحول من الأخذ إلى العطاء، ومن طالب العلم إلى أحد شيوخه، ولكن مصطفى خالف هذه القاعدة فمنذ معلمه الأول وهو خاله محمد بن حسين الأشقر الذي قطف منه أول ثمار العلم في سن اليفاعة وحتى سنة ١١٢١ هـ حيث التقى قبل وفاته بوقتٍ قصير بأحمد محمد الدرعي وأخذ عنه وأجازه بمروياته، بقي مصطفى طالبًا للعلم على مدى أكثر من ستين عامًا، وجد سعادته ولذته الكبرى في التلقي ولم يعهد عنه أنه اتخذ مجلسًا للتعليم أو أن له تلاميذ، ومن العجيب أن هذا الزاد العلمي الكبير الذي اغترفه من عشرات المشايخ لم يثمر أي مؤلف في العلوم التي حصلها، وغالبيتها في العلوم الدينية، وثمرته الوحيدة التي خلفها كان «فوائد الارتحال» وهو من خارج هذه العلوم لا من داخلها.

كات توجه مصطفى العلمي منذ يفاعته يتنامى باتجاهين متوازيين: شغف في التعلم لا حدود له والاتجاه الثاني أن يحيط



بالمشهد الثقافي في عصره وأن يسجل كل مفردات هذا المشهد الذي يستطيع الوصول إليها، كان طالب علم لا يتوقف نهمه وشغفه يأخذ من كل من يلتقي به درسًا أو إجازة، وفي الوقت نفسه وبدل أن يجلس في موقع الشيخ وحوله تلاميذه ليمنحهم بعض ما استوعبه وأتقنه كان يرغب بموسوعته أن يخاطب لا جيله فقط ومعاصريه بل كل الأجيال التي تأتي من بعده، وان يقدم لهم نماذج من النخبة الثقافية الذين أناروا القرن بإبداعاتهم ليكونوا نماذج مغرية ومحرضة في اعتبار العلم قبلتهم الأولى ومدار حياتهم.

ولم يكن مشروع مصطفى الثقافي محدودًا بل كان منفتحًا على الفاعلية الثقافية العربية في تنوعها واتساعها، ولتحقيق هذا المشروع الطموح اختار مصطفى أفضل مكانين ليرصد من خلالهما الحراك العلمي: مصر القاهرة، بأزهرها الشريف والحجاز بحرميه في مكة والمدينة.

كان مصطفى في حله وارتحاله يتطلع بدأب إلى تحقيق حلم كبير هو استيعاب الحراك الثقافي خلال قرن كامل، بدأ قبل ولادته منذ مفتتح القرن الحادي عشر ثم تابع هذا الحراك خلال الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري وكان محصلة هذا الدأب هذه الموسوعة الضخمة التي كانت شهادته على عصره ووصيته للعصور



القادمة. ولنا أن نتساءل ما المورد الذي كان يعتمد عليه مصطفى في تأمين تكاليف معيشته ورحلاته.

لم يكن مصطفى عاملًا في الجهاز الإداري للدولة المملوكية ولم يكن يتكأ على سخاء ملك أو أمير، ولم يعهد عنه توجيه شعره نحو أرباب الثروة والنفوذ ليكون له من عطاياهم نصيب، لا توجد أي إجابة مما سطره مصطفى في كتابه، ولكن هناك اشارة لافتة لمؤلف كتاب «نفحات العنبر» وهو يترجم لمصطفى إذ يؤرخ لوفادته إلى صنعاء سنة ثمان ومئة وألف بالتجارة ويكتفي بهذه الكلمة العامة




دون أن يوضح نوع هذه التجارة ومدى استفادة مصطفى منها، ويبقى هذا الجانب في حياة مصطفى دون إجابة وافية.

وكان أخيرا لمصطفى كغيره من البشر وبعد حياة مديدة يقدرها الزركلي بثمانين عاما أن يلقي عصا ارتحاله وأن يسلم الراية إلى من بعده فقد أدى واجبه وآن له أن يخلد إلى الراحة الأبدية، وكان آخر من رصد تراجمهم اثنين توفيا سنة ١١٢٣ أحدهما هو سالم بن عبدالله السقاف توفي بمكة والآخر صديقه الحميم عبدالرحمان الذهبي الذي وافته المنية في اليمن وكان هذا الرصد آخر عمل يقوم به قبل أن يغلق عينيه ويرمي بقلمه.



وأقدم من يسجل وفاة مصطفى ومكانها كان مؤلف ذوب الذهب المتوفى سنة ١١٧٠ هـ إذ يحدد وفاته في مدينة ذمار اليمنية، وإن كان قد أخطا في تحديد سنة الوفاة إذ اعتبرها سنة ١١١٧هـ وهو مخالف لما سجله مصطفى من تراجم.

وإذ نصل إلى ختام حياة هذا العلم فإن هناك أسئلة كثيرة ما تزال عالقة لا يجيب عنها من ترجم له أو من ترجم هو لهم، ما نستخلصه من الكتاب هو حياة مصطفى العلمية أما الجوانب الأخرى من حياته فتبقى مجهولة، كأنه لم يرد أن يتحدث عن حضوصياته واكتفى بما يربطه بالآخرين في مجال العلم والتعلم، وما أمكن تبينه من خلال كل ما كتب عنه أو ما ورد عنه خلال ترجماته لغيره هو ظلال من ترجمة وليس ترجمة وافية، وليس لنا في ختام هذه الرحلة في رحلات مصطفى إلا أن ننحني أمام ذكراه تقديرًا لعالم أثر أن يذيب حياته في إضاءة حيوات الآخرين، وأن يتحمل متاعب السفر ومشاقه لكي يوفر لنا راحة الاستمتاع بروائع الكثير من مبدعينا، وليس لنا في ختام هذه الجولة إلا أن نردد العبارة المأثورة «يرحمه الله».

٢ - موسوعة القرن:

كان مصطفى واحدًا من رجال عظام آمنوا أن رسالتهم في الحياة أن يرصدوا الإبداع العربي في شتى تجلياته في عصرهم،



منهم على سبيل المثال لا الحصر، محمد أمين المحبي، وصلاح الدين الصفدي، ونجم الدين الغزي، وشمس الدين السخاوي، ولسان الدين ابن الخطيب.

وكان مصطفى منذ زمن الحداثة ذا عناية شديدة به، «أتطلبه من مظانه وغيرها، وأصيد أوابده وأقيد شوارده، وأتتبعه من معاجم الشيوخ وفهارسهم، وأتلقى ذلك من أفواههم ومجالسهم» وحتى السنة الأخيرة من حياته تابع مصطفى بدأب هذا المشروع الثقافي الذي كرس له سنين حياته بأجمعها.



وفي المقدمة التي صدر بها كتابه يبين مصطفى الدافع الأساسي لهذا العمل وهو شعوره أن بينه وبين علماء عصره آصرة ونسبٍ «فالعالم بالنسبة إلى مقتبس علمه بمنزلة الوالد بل أفضل»[1] وحتى لا يكون عاقًا لمن هم آباؤه روحًا لا جسدًا أقدم على هذا المشروع بحماسة ونزاهة وتجرد، وهذا الشعور بالنسب تجاه من يترجم لهم جعله يعاملهم بأعلى درجات الاحترام فتغاضى عما ينسب إلى بعضهم من هفوات «لم أتتبع عثرات العلماء ليقال، ولكن لأستقيل في تداركها عثراتي، وأسلك مسلك الاعتدال»[2] إذ كان متفتحًا على

(١) فوائد الارتحال: ١/٣٧.

(٢) فوائد الارتحال: ١/٣٩.



كل الطيف الثقافي، لم يتحيز لفئة ضد أخرى كما فعل بعض صناع التراجم بل «ذكر خيار العلماء والناس من حيث هم، مع قطع النظر عن مذاهبهم».

وهذا المبدأ الذي التزم به مصطفى في تراجمه، وهو الحيادية التامة جعله لا يدخل في النزاعات السائدة في عصره بين المتصوفة والفقها، وبين المعتزلة ورجال الحديث، وبين الشيعة والسنة، وبين القبائل والقوميات المتعددة.

وكما ارتفع مصطفى فوق نزعة العصبية بمختلف أنواعها، تخلص من شعور الدونية الذي كان يحكم عمل البعض تجاه القرون المتأخرة مقارنة بالقرون الأولى من عصر الإسلام، تلك النزعة التي تصورت أن أفضال الناس تتضاءل كلما تقدمنا في الزمن، فهو يصرح بجلاء «إن السبق لا يختص القرون الأولى خاصة، وأن سبق سابقي كل زمان باعتبار ذلك الزمان»[1].

هذه مبادئ وقوانين كانت تضبط عمله عن الانحراف إلى الغلو والشطط وتلزمه جادة الموضوعية والنزاهة وقد لاحظ المطلعون على «فوائد الارتحال» في عصر المؤلف الخاصة الأخلاقية للمؤلف فقال الشاعر اليمني أحمد بن الناصر المهلا في تقريظ الكتاب:

---

(١) فوائد الارتحال: ٣٦/١.



مـا ثـلـبـتْ شـخـصًـا ولا أغـفـلـتْ

فـضـيـلـةً بـهـا الـعـلا شَـنَّـفـا[1]

ولـم يخصص مصطفى موسوعته لقطاع واحـد من النخبة الثقافية بل شملت ألوان الطيف الثقافي إذ يبين ذلك في مقدمته «عن لي أن أجمع ما يسره لي الله، من تراجم علماء هذا القرن، وأوليائه وكبرائه وأمرائه، وأهل البيت النبوي الطاهرين، والشعراء المجيدين، وشيوخي الذين لقيتهم أو عاصرتهم»[2].

ولكن احترس في ذكره لكرامات المتصوفة بقوله: «وأورد في كرامات الأولياء ما رواه عدل متيقظ ضابط عن مشاهدة .... ولا أثبتها بمجرد الاشتهار فإن الكذب يقع فيها كثيرًا»[3].

والنهج الذي سار عليه المؤلف في ترتيب التراجم هو ترتيبهم على حروف المعجم، ليكون أسهل للكشف، واستثنى من ذلك تقديم المحمدين ثم الأحمدين تبركًا باسم سيد المرسلين عليه السلام.

وبلغ عدد التراجم التي ضّمها «فوائد الارتحال» بين صفحاته ١٧٥٣ ترجمة، نستثني من ذلك عددًا محدودًا من التراجم المكررة،

(١) فوائد الارتحال: ٢/٤٢١.
(٢) فوائد الارتحال: ١/٣٧.
(٣) فوائد الارتحال: ١/٣٨.





وعدد آخر اقتصر على الأسماء إذ إن المؤلف كان يود إتمام تراجمها ولكن القدر عاجله دون تحقيق هذه الغاية.

ويختلف حجم التراجم، اختلافًا كبيرًا، فبينما تتسع بعض التراجم لعشرات الصفحات تقتصر تراجم أخرى على عدة أسطر، وهذا الفارق ينجم عن أهمية المترجم له وسعة نتاجه الثقافي، ومدى توفر المعلومات عنه.

ولعل أبرز ميزة للغة التي دون بها مصطفى تراجمه أنها كانت في الغالب لغة مرسلة قريبة من لغة عصرنا، وإذا قارنا مثلًا لغة «فوائد الارتحال» بلغة «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة» سنجد البون الواسع إذ غرق المحبي في شرك اللغة التزينيية الشكلية التي تبرز قدرة الكاتب اللغوية على التشكيل والتجانس والمطابقة ولكنها تحجب الواقع بحيث نخرج من الترجمة دون تحصيل أي معلومة مهمة عن صاحبها، بينما استطاع مصطفى أن يتجاوز إغراءات هذا الاسلوب اللغوي الشائع في عصره وأن يكتب بلغة أقرب إلى العصرية الراهنة.

اعتمد مصطفى في تراجم السابقين عليه على وسائل متعددة، منها كتب التراجم التي أرخت لتلك الفترة، ومن هذه الكتب التي



يشير إليها الحموي في مقدمته وخلال تراجمه: الكواكب السائرة، ولطف السمر وقطف الثمر، ونفحة الريحانة، وكفاية المحتاج، وريحانة الألباء، وسانحات الطالوي، ومناهل الصفا، وسلافة العصر، والوسيلة الثانية هي الاطلاع على بعض ما كتبه هؤلاء السابقون بخطهم، وكذلك السماع من تلاميذهم وأصحابهم الذين عاصروهم.

أما المعاصرون له فقد ارتكز مصطفى على المشاهدة والمعاينة، ومن أجل ذلك تحمل مشاق السفر بين دمشق ومصر، وبين مصر والحجاز، وبين الحجاز واليمن، وبين مدن اليمن المختلفة على ما كان للسفر في ذلك العصر من وسائل بدائية وافتقاد الأمان، واعتمد أيضًا على المراسلة ممن لم يستطع الالتقاء بهم. وإذا كان ما نقله مصطفى من كتب التراجم السابقة لا يزودنا بما لا نعرفه، فإن ما دونه استنادًا إلى المشاهدة والسماع له قيمة كبيرة إذ ينفرد المؤلف بمعلومات قد لا نجدها في أي مصدر آخر، ويورد مصطفى في الترجمة نسب المترجم له أولًا مختصرًا إلا في المنتسبين إلى العترة النبوية فيطيل في النسب حتى يصل إلى الأصل الأول، ويذكر المؤلف تاريخي الميلاد والوفاة، ويتوقف عند السيرة العلمية للمترجم له، وتتمثل في المشايخ الذي درس عليهم، والكتب والرسائل التي ألفها،






وإذا كان المترجم له من الشعراء يورد نماذج من شعره قد تقل وقد تكثر، وهو يورد الشعر دون أية أحكام في الغالب، لكنه في بعض النماذج يصدر الشعر بعبارات الإعجاب، وفي نماذج أخرى يرفق ما يورده بأشعار لآخرين تتوافق مع النص عروضيًا أو في الموضوع، أو يذكر الأصل الشعري الذي استند إليه الشاعر.

ويدل هذا الرجوع إلى نصوص سابقة لها تواصل مع نص المترجم له على سعة المخزون الشعري للمؤلف وعلى ما يتميز به من حاسة تذوقية ونقدية.

أما في تراجم المتصوفة فإن المؤلف يرصد عادات المتصوف وبعض كراماته، وعلاقاته بالبيئة المحيطة به ومدى تأثيره فيها.

وإذاكانت بعض الكرامات التي يذكرها مما لايستسيغها البعض فإن مصطفى يقف موقفًا حازمًا من شطحات بعض المتصوفة.

٣ - الشعر في أسر الصنعة الشعرية:

لم يكن الشعر في مركز اهتمام مصطفى الثقافي بل كان على هامشه، وكان اهتمامه الرئيس رصد البيئة الثقافية في عصره بكل



تنوعاتها، والدليل على ذلك أنه لم يجمع شعره في ديوان خاص به، بل إن كثيرًا من مطارحاته مع الشعراء يشير إليها في موسوعته دون أن يوردها، أو يكتفي بذكر بيت أو أبيات منها ويغفل الباقي.

ويعتبر كتابه «فوائد الارتحال» المصدر الأساسي الذي احتوى على قصائده ومقطوعاته، نضيف إلى ذلك مصادر أخرى مثل «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، «وخلاصة الأثر» و«عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر» و«إتحاف الأحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن بعض أهل العصر» ومخطوط «ذوب الذهب».





والنظرة الخارجية لنتاج مصطفى الشعري تفيد أن شعره ينتمي إلى فن «الإخوانيات» هذا الفن الذي تمّدد واتسع في عصر الشاعر، ويتميز برحابة النَفَس الشعري في بعض القصائد وتجاوز العشرات الشعرية إلا القليل منها، والتي طغت على نتاج الكثير ممن انتسب إلى هذا الفن دون أي مؤهلات.

والنظرة الداخلية لهذا الشعر تقتضي منا أولًا أن نلقي نظرة عامة على الشعر في العصر الوسيط، عصر السيادة المملوكية ثم العثمانية فليس هذا الشعر إلا لقطة من المشهد الشعري في هذه الحقبة وشاهدًا أمينًا عليه.



يتسم هذا العصر بالانسداد على مستويين: المستوى الخارجي حيث انكفأ المجتمع العربي على نفسه وانقطعت خيوط اتصاله بما حوله من ثقافات وحضارات، على عكس ما جرى في العهد العباسي، وهذا الانغلاق أدى إلى تخثر الفكر والثقافة.

إن تفاعل الثقافة مع ما يغايرها من ثقافات هو ما يجدد الدماء في عروقها وينتشلها من هوة الجمود والتبلد ومن سيطرة الصوت الواحد، من انطفاء شعلة الخيال وذبول الابتكار والإبداع.



كان المجتمع ينظر في مرآة ذاته فيشعر بالرضا، ولا يجد أمامه إلا ما ورثه يعيد اجتراره وانتساخه، من هنا غلبة تدوير التراث من خلال سيادة المعارضات والتشطير والتخميس والتسبيع والتذييل، وتنامي الشروح والحواشي والمختصرات، والاستناد إلى الحفظ والتباهي بسعة الذاكرة.

انكفأ المجتمع العربي على نفسه على مدى عدة قرون، فغادر التاريخ والزمن المتحرك ولبث في سبات طويل، لم ينقذه منه إلا عندما اقتحم الآخر عليه سكون عالمه المتخثر فبدأ ينظر إلى نفسه في مرآة الآخر ويدرك نقصه وقصوره وتخلفه الطويل، وبدأت التساؤلات





الكثيرة تهزّ الثوابت والبديهيات المتكلسة لتطل آفاق التغيير والتطور والانسداد الآخر الذي عانى منه الشعر خاصة هو الانسداد الداخلي، لقد فقد الشعر حاضنته البشرية التي كانت تحفزه دائمًا على التألق وتخلق أجواء من التنافس والرغبة في التفوق، انحدرت فئات كبيرة من المجتمعات العربية تحت خط الفقر وطحنتها الموجات المترددة من الطاعون والمجاعات والحروب والفقر، فلم يعد للشعر الفصيح أي صدى في حياتها البائسة التي تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة، وفي المقابل فإن النخبة الإدارية والسلطوية كانت في معظمها غريبة عن المجتمع العربي، همها الأول التنافس على الإمساك بالسلطة وبالثروة، مستخدمين كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة. في هذا المأزق لم يعد للشعر فضاء يتنفس فيه إلا منتجي الشعر أنفسهم، ولذا شاعت في هذا العصر الإخوانيات، والبادي والمراجع، والتذييل والمعارضات، والألغاز المرسلة من شاعر إلى آخر، وحلّ هذه الألغاز.

في هذا المناخ الذي شهد انقطاع الحبل السري الذي يصل الشعر بحاضنة الشعبية وبالفضاء الثقافي من حوله مما أفقد الشعر توهج الروح واستلب منه حلمه الأساسي وهو قدرته على التنبؤ، على الكشف، والتجاوز، على عقد الصلة بين مفردات الحياة اليومية،



وسياحات الروح القصية، مما حوّل التجربة الشعرية الحية إلى صنعة شعرية لا علاقة لها بالتجربة، إذ يخلو الشعر من الرؤى والطرق المبتكرة، هناك طريق واحد يسير عليه الجميع، البعض يتعثر بين خطوة وأخرى لعدم التمرن على استخدام أدوات الصنعة، والبعض الآخر يمشي ببطء أو بانطلاق حسب التفاوت في تملك واستيعاب هذه الأدوات.



هذا المناخ العام سمح لشاعر أن يتغزل بمئة غلام لكل منهم سماته الخاصة، ولشاعر آخر أن يتغزل بمئة جارية من منابت شتى دون أن يكون للشاعرين أي علاقة بمن يتغزل بهم، وفي هذا المناخ من انعزال الشعر عن منابع الحياة انحدر الشعر درجة أخرى إلى الصنعة اللغوية حيث تحول اهتمام الشاعر إلى اللعب اللغوي: من تواريخ شعرية، وأبيات تقرأ من الجهتين، وأشعار بحروف معجمة، أو بحروف غير معجمة، وبديعيات تتنافس فيما يحتويه كل بيت من أنواع البديع، أي تحولت التجربة الشعرية إلى تجربة لغوية، وانفصل الشعر عن عنصره الأثيري وهو العاطفة، مما يقطع جميع الأواصر بالشعر عدا صلة واحدة شكلية هي الوزن، وفي هذا المناخ





العام لا يمكن لشاعر مهما كانت قدراته أن يخترق هذه المواضعات العامة النمطية التي تدمغ الشعر بطابعها ما لم تتغير أسس البنى الاجتماعية والثقافية في المجتمع العربي.

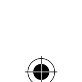
فشعر مصطفى هو نموذج للصنعة الشعرية بكل مواصفاتها حيث تنعدم الرؤية الخاصة. وينحصر التميز الفردي بالقدرة على التعامل مع أدوات الصنعة الشعرية بحذق وحرفية، فمصطفى يسير على الدرب الذي مشى عليه الشعراء الآخرون وينسج على النول الذي نسجوا عليه. وهذا الشعر يصنف ضمن فن الإخوانيات، وهو الشعر الذي يتجاوب مع أداء الواجبات الاجتماعية، وشعر الإخوانيات محكوم بالاستجابة ضمن المدى الزمني المحدود للمناسبة الاجتماعية مما يجعل هذا الشعر أقرب إلى الشعر الارتجالي، حيث لا يتيح المدى الزمني المحدود للشاعر أن يتحول الحدث إلى حالة شعرية، ويشير مصطفى إلى هذا الاستعجال في نظم الإخوانيات في أحد الأبيات من قصيدة مطولة نظمها ردًا على شاعر يمني:



خـــذهـــا إلـــيـــك غـــريـــبـــةً

يـــابـــنَ الـمـــطـــهّـــرِ واعـــــــذرِ[1]

(١) فوائد الارتحال: ٣/٤٣٢.





بِــــــكـــــرًا بُـــنـــيّـــةَ لـيـلـةٍ

مـــن نـــــــازحٍ لــــم يـحـقـر

وليس أمام الشاعر في هذا الموقف سوى استنهاض ذاكرته وقدرته على التعامل مع أدوات الصنعة الشعرية لأداء هذا الواجب.

وهذه الردود المتبادلة التي يمثلها شعر الإخوانيات تتداول بين فصيل محدد هو فصيل الشعراء، مما يؤكد أن الحاضنة الأساسية للشعر في هذا العصر بعد أن أغلق الفضاء الاجتماعي أمامهم تنحصر في الشعراء أنفسهم.





وتتوزع النصوص الشعرية للحموي بين نوعين من الموضوعات: موضوعات يتم تناولها غالبًا بالنثر تتمثل في الإجابة عن سؤال أو طلب استعارة كتاب، أو تقريظ كتاب، أو إعلام بالوصول، أو طلب إجازة، وكمثال على هذا النوع النص الشعري الذي بعث به حسن البوريني إلى الحموي يسأله فيه عن توثيق حديث نبوي ورد في كتاب «الشفا» للقاضي عياض يروي أن نبيًا قتله القمل، وهو يدرك الطابع النثري لسؤاله لذا يطلب من الحموي أن يكون الجواب: «نظمًا وإن شئت فانثرنْ».



وفي إجابة الحموي نظمًا لم يكن أمامه وهو يرغب في توصيل المعلومة إلى السائل إلا أسلوب السرد فيبين له صحة الحديث الذي ورد في كشف «الشفا» وأن ابن الدنيا يروي الحديث أيضًا بشكل صريح ويزيد على هذا التوثيق أن بمسجد في الرملة مقابر سبعين نبيًا قتلوا بقمل أو بجوع، ويرد ذلك إلى أن الأنبياء هم الأكثر ابتلاء، وهذا السرد يضفي على النص الطابع النثري ويجرده من حيوية الشعر وإشعاعه ولا يبقى ما يربطه بالشعر إلا الوزن.




وفي المقابل فإن هناك عددًا من النصوص تتناول المدح والرثاء والغزل، وهي فنون شعرية عريقة. ولكن أداء الواجب الاجتماعي ينتقل بهذه الفنون من التمعن في السمات الخاصة للممدوح أو للمرثي أو للمتغزل به إلى النموذج العام للمدح والرثاء والغزل المتداول والمستهلك مما يحصر النص في إطار الصنعة الشعرية.

وكنموذج معبر عن ذلك قصيدة الغزل الخالصة[1] المكونة من سبعة أبيات ومطلعها:

أفدي الذي زارني بالليل مختفيًا

وهو بادي الوجه ضاحكه

(١)فوائد الارتحال ٢٦٢/١.





فالمحرض على كتابة هذا النص ليس تجربة حب عاشها الشاعر بل هو رغبة في مناقضة بيت شعري قرأه الشاعر يقول:

ليس يقتلني إلا تهتُّكُهُ
مع الورى ومعي وحدي تَعففُّهُ

وما دام باب التجربة مغلقًا فالشاعر يستنجد بالذاكرة ويستعير من مخزون التراث صورة نمطية تداولها الكثير من الشعراء قبله، وتنص على زيارة يقوم بها المحبوب ليلا حيث يقضي الليل مع حبيبه وهو ينعم بسلاف ريقه، ومع ذلك فإن المحبوب بات وهو ملتف بثوبي عفة وتقى، ويختم الشاعر نصه الموروث بالهدف من إنشاء النص وهو معاكسة البيت السابق بقوله:

وليس يفرحني إلا تعففُّه
مع الورى ومعي وحدي تهاتُكُه

مع أن التهاتك يتناقض مع مازعمه من ارتداء المحبوب ثوب العفة، هنا ينحصر دور الشاعر في استخدام ما يمتلكه من أدوات الشعر، لتصنيع هذا المشهد المستعار أي يصبح النص مثالًا صارخًا للصنعة الشعرية.

ومع ذلك فإن ما رصدناه لا يقلل من قيمة مصطفى كمصنّع للشعر حسبه أنه لم ينحدر إلى ما شاع في عصره من افتتان



بالصنعة اللغوية التي لم تحتفظ من آليات الشعر إلا بالوزن فشعره لم يعرف التأريخ بالشعر، والتشطير، والتخميس، والتسبيع، ولا البديعيات المثقلة بالحشد البلاغي، ولا الألاعيب اللغوية بأشكالها المتنوعة مما لا يمت إلى الإبداع الشعري بأي صلة، ويحمد لمصطفى في شعره هذه الرحابة في النفس الشعري التي تمتد في بعض قصائده إلى حدود ثمانين بيتًا دون أن يتعثر إلا لمامًا، ودون أن تعجزه في البحث عن قافية متجددة، وهذا الثراء اللغوي الذي يوفر له انسيابية رائعة في تدفق أبياته وعباراته، وهذا القدرة على إتقان مقتضيات فنون الشعر المختلفة، وإذا كان مصطفى قد التزم بقواعد شعر الإخوانيات، وما يفرضه من حدود وتوقعات فإنه تمكن في بعض مقاطع من مطولاته. أن يتحرر من هذه المواضعات وأن يعود إلى أعماق نفسه حيث آلام الغربة، ولذع الحنين إلى مرابع صباه، ولواعج أحلامه المتعثرة، إذ ذاك تتوهج الكلمات فتلقي عن كواهلها ثيابها المهترئة، وتغدو الأبيات مرآة مجلوة لعذابات الروح وتطلعاتها اللامحدودة، إذ ذلك نعثر على جوهر الشعر لا على ثيابه الخارجية، يكفي أن نقرأ هذه الأبيات من مطولته النونية:

ويــلاه بــرقُ الـشـام قـد قـطـع الـكـرى

مــذ شِـمـتُــه كــالـصــارم المـسـنـونِ



أرضٌ غرستُ بها الصبابةَ والهوى

فجنيتُه كمدًا وفرطَ أنين

وسُقيت كأسَ البينِ من زمن الصبا

رَنِقًا فغيّر منه صفوَ شؤوني

ورحلت جسمًا والفؤاد بها ثوى

فمتى برؤيتها تقرّ عيوني

وهذه الاختراقات تتخلل بعض مطولات مصطفى الشعرية كبروق تلمع وسط غيوم بيضاء تسبح في سماء هادئة، مما يدل على قدراته التي تتخطى حدود الصنعة الشعرية، حسبه أنه سار في الطريق الممهد الذي سار فيه شعراء عصره، وأنه سار بخطوات ثابتة لم يشبها التعثر إلا نادرًا، وأنه كان مستجيبًا لحقوق الصداقة وأعرافها، وأنه لم ينظر إلى شعره إلا كهامش على سفر مشروعه العظيم.

****




قافية الباء











(١)

كتب الشاعر إلى علي المنسكي[1] يستدعي منه إعارة القاموس في أبيات مطلعها:

[البسيط]

أيا عليَّ الرضا ذا المجدِ و الحسبِ
وزاكيَ الخَلْقِ والأخلاق والنسبِ

ومنها:

وبعدُ لم يُبقِ عندي الدهرُ من كُتُبٍ
وما رأيتُ سوى مولايَ من يُجِبِ

فابعثْ لعبدكَ قاموسًا يُراجعهُ
يا أيها السيّدُ المولى على كثبِ

---

(١) علي بن هادي المنسكي: (ق ١١ هـ)، أحد علماء وأدباء وتجار منطقة صبيا على ساحل البحر الأحمر جنوب شرق المملكة العربية السعودية، كان له الكثير من الأعمال الخيرية في منطقته وأقام صلات مع أدباء عصره. والتقى به مصطفى الحموي (١٠٨٦ هـ) وتبادل معه الأشعار. (انظر: الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون: ٣٦٦)



واسلمْ ودُمْ راقيًا أوجَ السيادةِ يا

فريدَ صَبْيا وفخرَ السادةِ العربِ

● **مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٢٣٣/٣**

● **مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر : ٣٦٨/٥-٣٦٩**

****





(٢)

كان الشاعر مع صديقه عبدالباقي ابن السّمان[١] في بستنان ومعهما مغن غناؤه يأخذ بمجامع القلوب فأخذ ابن السمان الطرب فأنشد بديهة:

[الكامل]

عـذبُ الـرُّضـابِ يلـذُّ لـي تصـريبُهُ
وَهْـو المتـيّمُ حيث حـلَّ حبيبُهُ

وقال لي: أجزه، فقلت :

والـوصـلُ غـايـة مـا يُـرجِّـيـه فتًى
نـارُ الـغـرام مـن الـبِعـاد تُذيبهُ

فقال :

والحـبُّ كـالـصـهبـاء يـعـذُب أَوّلا
ويـعـود غُـولًا لـلـنـفـوس عَقـيـبـه

(١) عبدالباقي بن أحمد (١٠٥٥– ١٠٨٨ هـ)، شاعر سوري، ولد في دمشق وتعلم بها وبمصر، وسافر إلى إستامبول وحظي عند السلطان محمد بمكانة واستقر فيها حتى وفاته. (انظر: الأعلام: ٣/٢٧١).



فقلت :

والعاشقُ الولهان كم يُخفي الجوى

ويُذيعه بين الأنام نَحيبُه

فقال :

وأشدُّ ما يَلقى المعذَّبُ في الهوى

صدُّ الحبيبِ وبُعدُه ورقيبُه

فقلت :

ولَكَمْ يقاسي الصبُّ أنواعَ الجَفا

وإلامَ يبخل باللِّقا محبوبُه

فقال :

ومتى تعودُ لياليًا كانت لنا

شُحرورُها والعندليبُ يُجيبُه

فقلت :

في روضةٍ زُرَّتْ على جَنَباتها

حُلَلٌ من القيصومِ زاكٍ طيبهُ



فقال :

فسقى معاهدَها التي سلفت حَيًا

ينمو بهاتيك الـرِّحـابِ خَصيبُه





● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٣٠/٣

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١١٦/٥-١١٧

✷✷✷✷










قافية الحاء









(٣)

وقال مجيبًا على قصيدة أرسلها إليه الشاعر محمد الحمزي[١]:

[الطويل]

حديثُ غرامي في المحبة قد صحّا
فلا تُنكروا ضعفي إذا رمتمُ النُّصحا

وكُفّوا مَلامي في الهوى لا بُليتمُ
فإن بقلبي من مَلامتكم جُرْحَا

خذوا بيدي من ذا الغرام فإنني
أبيتُ بليلٍ لست أرجو له صُبحا

أُراع ولم أُذنبْ وأُجفى ولم أخُنْ
وأطلب من قبل المحاربةِ الصُّلحا

وبي فوق ما بالناس من لاعج الهوى
ومن مَدمعي وَدْقٌ على كبدي سحَّا

(١) محمد بن الحسين الحمزي الحسني (٠٠٠ – ١١٢ هـ) عالم وشاعر يمني نشأ بصنعاء، وأخذ عن علماء عصره، وقصد صاحب المواهب بمدائحه. تبادل القصائد مع مصطفى الحموي، (انظر: أعلام المؤلفين الزيدية: ٢/٨٩٥).




أُجِنّ غرامًا في الحشا خوفَ كاشحٍ
أعاني به ما يُعجز الوصفَ والشّرحَا
بُـلـيـتُ بـقـاسٍ لا يــرقّ فــؤادُه
بكلِّ حشًـا عيناه قد تـركتْ قَـرْحَـا
يميل على الـنَّـدْمَـانِ عُـجْـبًا كـأنـهُ
أراكـةُ وادي الشِّعب أو بـانـةُ البطحا
ويُطلـعُ مـن لألاء غُـرّتـه الصُّبحـا
ويُـرسـل مـن ظلمـاءِ طُـرَّتِـهِ الجُـنْـحَـا
إذا جـئـتُـه يـومًـا لـبـثّ شَـكـيّـتي
أروح بـأشـجـانٍ وأغـدو كمـا أضْـحَـى
وأدفــع عنـه الـنفـسَ وهــي عـصـيّـةٌ
وأُكـرمـهـا مـن مَـوردٍ مـنـه قـد سحَّا
تُـهـدّدني مـن مُـقـلـتَـيْـه إذا رنـا
قـواضـبُ ممـا يطبـع الـلـهُ لا تُمْـحَـى
حِــدادٌ يـلـوح المــوتُ فـي صفـحاتها
مَـواضٍ طـوتْ في كل جـارحـةٍ كَشْـحا
كــأن عـلـيـهـا الـقـتـلَ ضـربـةُ لازبٍ
فمـا بـرحـتْ تـزداد فتكًـا ولا تُـلحـى
وهـبـنـيَ مـا أبـقـى فِــراقُ مـعـذّبـي
سوى الكَبِدِ الحـرّاء والمقلةِ الجَرحى

فـمـا تــرك الأيـــامُ مــثـلَ مُــودِّعــي

بـخـيـلًا ولا مـثـلَ الأعــزّ بـهـا سَـمْـحَـا

مـحـمـدٌ الــنَّــدْبُ الــذي لـو فـديـتُـه

بـروحــيَ مـن بـين الأنــام فـمـا أُلْـحَــى

سليلُ حـسـينٍ من بـني حـمـزةَ الـذي

له الشرفُ الأعلى مدى الدهر لا يُمْحَى

بـلـيـغٌ حـبـاه الـلـه كـلَّ فـضـيـلـةٍ

يضـيء بها الـداجـي ويُـوري لـه قَـدْحَـا

فـفـي كـوكـبـانٍ كـوكـبٌ مـنـه مـشـرقٌ

أضــاء بصنعا بعد أن لقيت بَـرْحـا

فـكـم مــن خِـــلالٍ حــازهــا ومـفـاخـرٍ

بـهـا اكـتـسبَ الـنصـرَ الـمؤثَّل والفتحا

سـقـانـي بـكـأس الــودّ مـنـه قـصـيـدةً

ثـمـلـتُ بـمـعـنـاهـا وصـحـويَ مـا صـحَّا

بـلـغـتُ بـهـا بـطـنَ الـثـريّـا فـفـاخـرتْ

بها الـعـربُ الـعـرباءُ واللـغـةُ الفصحى

فــحــرّكــنــي مــنــه بــديــعُ خـطـابـهِ

جـوابًـا فـلا أرجـو بمِـدحـتـه الـنُّـجـحـا

ولــولاه مــا جــادت بـشـعـرٍ قـريـحـتي

ولا نظمتْ من دُرّ ما اقترحتْ مدحا

أخـا المـجـدِ عــذرًا فالليالي خـؤونـةٌ

تُـبـدّل فـي عَـيْـنـي مـحـاسـنَـها قُبحا

أبــادت بـقـايـا الـبِـيـض مـنّــيَ صـولـةٌ

وما صحبتْ سيفًا ولا اعتدلت رُمحا

أقـطِّـرُ مـن جـفـنـي وروحـــيَ أدمُـعًـا

ويحسبها الـعُـذَّال من لـؤمـهم مدَحا

فـدُم مـوئـلًا أرجــوك مـن كـل حـادثٍ

فــإن ظُـلامـاتـي بـغـيـرك لا تُـمْـحَـى

ومــا زلــتَ مـحـروسَ الجـنـاب ممـنَّـعًا

وتحـرسـك العليا وتبني لـهـا صرحا

ودام لــكَ الأضــنــاء والــوالــدُ الـذي

فـضـائـلُـه فــي الـنــاس طـيّـبـةٌ نَـفـحا

مـدى الدهـرِ ما غنَّت سُحَيْرًا حمامةٌ

بـروضٍ على غصنٍ وردَّدتِ الصَّدْحا

● **إتحاف الأحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن بعض أهل العصر: ٣٠٠ - ٣٠١**

****

(٤)

أجاب الشاعر على قصيدة بعثها إليه عبدالرحمن الذهبي[1]:

[مخلع البسيط]

أروضــــــــــةٌ زهــــرُهـــــا تــفــتَّــحْ
أم غــــــــادةٌ قَـــدُّهـــــا تـــرنَّـــحْ

وفـــــتْ بــوعــدٍ مــن بَــعــدِ بُـعـدٍ
وَافَـــت سُـحـيـرًا والـطـيـرُ يـصـدَحْ

أم زهـــــرُ أُفـــقٍ فـــي جُـــنـحِ لـيـلٍ
أم بـــدرُ تِـــمٍّ بـالـسـعـدِ أصـبَـحْ

أم طـيـبُ وصـــلٍ مــن بـعـد هـجـرٍ
أحـيـا مَـشـوقًـا لـلـدمـع قَـــرَّحْ

أم مـــاءُ ثَـغـرٍ أم وردُ خَــدٍّ
أم ذا لُـــجـيْنٌ لـلـتِّـبْـر يـفـضَـحْ

(١) عبدالرحمن بن محمد الذهبي (١٠٥٥ – ١١٢٨ هـ) شاعر ومؤرخ سوري، ولد في دمشق وتنقل بين الحجاز ومصر واليمن، وجمع تراجم لشعراء عصره في كتابه: «نفحات الأسرار الملكية ورشحات الأفكار الذهبية، توفي في اليمن. (انظر: الأعلام: ٣/٣٣٢).



أم سـحـرُ لـفـظٍ هـاروتُ منه
تـعـلَّـم الـسـحـرَ ثـم صَـحَّـحْ

أم دُرُّ نـظـمٍ مـن خـيـرِ خِـلِّ
عـن خـالـصِ الـودِّ منـه أفـصَـحْ

يشكو الـهوى [لـي][1] وجَـورَ ظبيٍ
نـحـيلِ خَـصْـرٍ بـالـلـحظِ يـجـرَحْ

كـأنَّ وردَ الخـدودِ منه
راحُ كـشـمـسٍ بـالـنـار تـقـدَحْ

كـأنَّ لـيـلـي بـه صـبـاحُ
فـلـسـتُ أدري أمـسـى أمَ اصـبَـحْ

حـديـثُ وَجْـدي بـه قـديمُ
لـه إمـامُ الـغـرامِ صَـحَّـحْ

وسـهـمُ لحـظَـيْـه راشَ هُـدبًـا
أبـانَ عـن قـتـلـتـي[2] و صـرَّحْ

فـكـم أداري الـوشـاةَ فـيه
وحـبُّـه زادَ بـي وبَـرَّحْ

(١) ما وضع بين معقوفين زيادة لاستقامة الوزن.

(٢) في الأصل «قتلي» ولا يستقيم به الوزن، ولعلها تحريف.



أذوبُ عشقًا يزيدُ هجرًا
أغضبُ مِن صَدِّهِ فيفرَحْ
أقولُ مهلاً يقولُ كلَّا
أرومُ وصلاً يقولُ تمزَحْ
فهل لداءِ الغرامِ راقٍ
أشكو له قِصّتي وأشرَحْ
كما شكا لي أعزُّ صحبي
فرطَ غرامٍ به وأوضَحْ
حليفُ كلِّ الكمالِ طبعًا
ماذا عسى فيه أمدَحْ[1]
شقيقُ روحي منذ كنتُ طفلا
خيرُ صديقٍ إليه أجنَحْ
فريدُ نظمٍ وحيدُ نثرٍ
حديثُ فضلٍ عندي مُصحَّحْ
يزهو على عمرٍو ذي الأيادي
إنْ قِيسَ قُسٌّ[2] به ترجَّحْ

(١) في الشطر خلل عروضي.
(٢) قُسّ بن ساعدة الإيادي (٠٠٠ – ٢٣ ق هـ)، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، كان أسقفًا لنجران، ويضرب به المثل في بلاغة القول. (انظر: الأعلام: ١٩٦/٥).



منها :

وهـــاك يـــا بـــنَ الـــكـــرامِ بِـكـرًا
تجـــرُّ ذيـــلَ الحــمــيّــا[1] وتمـــرَحْ

واســبــلْ حــنــانَــيْـكَ ذيـــلَ سـتـرٍ
عـلـيَّ واعــــذرْهُ والـسـتـرَ فـامـنَـحْ

فـبـحـرُ شِـعـري قـد جــفَّ مني
وكـنـتُ مــن قـبـلُ فـيـه أسـبَـحْ

وقـــد تمــاديــتُ فـــي جـوابــي
لـقِـصْـرِ بـاعـي والـعـذرُ أقـبَـحْ

منها :

بـقـيـتَ مــا غـــــرَّدَتْ سُـحَـيْـرًا
وَرْقـــاءُ تـشـدو والـشـوقَ تـشـرَحْ

واســـلـــمْ ودمْ فـــي هـــنـــاءٍ
لــك المـوالـي تـدنـو وتمــدَحْ[2]

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٣٦/٣

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٣٥/٥-١٣٧

****

(١) في الشطر خلل عروض.

(٢) في البيت خلل عروضي.





قافية الدال











(٥)

وقال مجيبًا على قصيدة أرسلها إليه يوسف الهادي الكوكباني[1]:

[مخلّع البسيط]

أهـــلاً بـــغـــرّاءَ قـــد تجـــدَّدْ
بـهـا الـهـوى والحَـشـا تَحـدَّدْ

هَـيـفـاءَ تحـكـي الـهـلالَ يـبـدو
مـن فـوقِ غـصـنٍ ريّـانَ أمـلَـدْ

جـــاءتْ تجـرُّ الـذيـولَ منـهـا
عـلـى مُـعَـنًّـى فـي الحـبِّ أوجَـدْ

كـالـبـدرِ نُـورًا والـروضِ نَـوْرًا
والـدُّرِّ حُـسـنًـا إذا تـنـضَّـدْ

(١)يوسف بن علي بن الهادي الكوكباني (١٠٦١-١١١٦) شاعر، ولد بشبام في اليمن وتلقى العلوم الدينية والأدبية عن مشايخ عصره، وولي الوزارة في عهد الإمام الهادي كما ولي القضاء، وقد التقى به مصطفى الحموي وتبادلا الأشعار. (انظر: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٦/٣٣٧).



مـا مـجـلـسُ الـحـسـنِ حـينَ حـفَّـتْ
بــه الــنَّــدامــى وقـــد تَمــهَّــدْ
بـقـربِ حــوضٍ وجَــنْــبِ روضٍ
قـد شـابـهَـتْ أرضُـــه الـزبـرجَـدْ
واهــتـــزَّ فـيـه الـقـضـيـبُ لمَّـا
عـلـيـه طـيـرُ الـــسُّـــرورِ غَـــرَّدْ
والـنَّــهـرُ قـد خَـرَّ فيه يَـحْـكي الـ
ـحُـسـامَ مــن غــمـدِه تجـــرَّدْ
وقـــــامَ فـيــه ســــارٍ عــزيــزٌ
بــــدرٌ مــنـيـرٌ أَغَــــنٌّ أَغْــيَــدْ
يُـــديـــرُ كــأسًــا حـكـتْ لُجـيـنًـا
حَـــوَتْ شــرابًـا حـكـاهُ عَـسْـجَـدْ
وقـد حَـكَـتْ وجـنـتـاهُ مـا فـي الـ
ـيمـينِ [حــقّــاً](١) لـو كـان يحـمَـدْ
فـــــردًا تـــــراهُ بـسـيـفِ لحـظٍ
ورمــــــحِ قَــــدٍّ لــقـد تــعــدَّدْ
يَــأْبــى الـتـدانـي وسـهــمَ بُـعْـدٍ
بـــالجَـــوْرِ والـظـلـم مـنـه سـدَّدْ

(١) ما بين معقوفين زيادة لإقامة الوزن.



أفـديــه بـــدرًا قــد فـــاقَ قـــدرًا
وصـــالَ دهـــرًا بــأسـمـرِ الـقَـدْ
وراقَ وصـــفًـــا ورَقَّ لـطـفًـا
وخـــفَّ طَـــرْفًـــا بـقـلـبِ جـلـمَـدْ
بـــخُـــلْــفِ وعـــدٍ وطـــولِ صَـــدٍّ
ونــقــضِ عــهـدٍ مُـضـنـاه هـــدَّدْ
وســحـــرِ طَـــرْفٍ ولـــينِ عِـطـفٍ
وبــــذلِ لــطـفٍ هــــواه أكَّـــدْ
شـــكـــوتُ مـنـه هَـجـيـرَ هـجـرٍ
والـــنـــارُ فـــي مـهـجـتـي تَـوقَّـدْ
فـــقـــال يـــا ثـعـلـبَ احـتـيـالٍ
تُـــريـــد مـنـي الـلَّـمـى المـبـرَّدْ
فـقـلـتُ إنَّ الحــشـا سـعـيـرٌ
أدنـــو لــــورِدٍ وعــنــه أُطــــرَدْ
مـــا فـــازَ كـــلٌّ مـــن الـنَّـدامـى
بـصـفـوِ عـيـشٍ بـالـلـهـوِ أرغَـــدْ
يـــومًـــا بـأحـلـى مـنـهـا إذا مـا
أتَـــتْ مُـحـبًّـا بـالـشـوق يُـكـمَـدْ

عـــــذراءُ بِــكــرٌ وفــكــرُ بـحــرٍ

بـالـعـلـمِ والـفـضـلِ قـد تَـفـرَّدْ

يـوسـفُ ذو الـصـدقِ مَـن إلـيه

تُـعـزى عـلـومُ الـورى وتُـسْـنَـدْ

قـاضٍ أقـرَّتْ لـه الأعـالـي

بـكـلِّ فـضـلٍ فـكـيـف يُـجْـحَـدْ

أحـسـنَ صُـنـعًـا بـأرضِ صَـنْـعـا

وحـاز سـعـدًا بـرغـم حُـسَّـدْ

فـلـيـسَ بِـدْعًـا إن قـالَ دُرًّا

وحـازَ سـعـدًا بـرغـم حُـسَّـدْ

فـيـا إمـامًـا إلـى حِـمـاهُ

بـالـرَّغـم مـنـه الـعُـلا تَـرَدَّدْ

أجـدْتَ نـظـمًـا غـريـبَ مـعـنًـى

قـد نـظَّـم الـدرَّ فـي الـزبـرجَـدْ

قـولًا بـديـعًـا لـه مَـعـانٍ

بـيـانُـه لـلـبـلـيـغ أقـعَـدْ

هـاكَ جـوابـي مـع الجَـوى بـي

مـن جَـوْرِ دهـرٍ لـقـد تَمـرَّدْ



فــاعــذرْ وســامــحْ حــلـيـفَ وُدٍّ
مـــــازال يـنـمـو والـلــــهُ يـشـهَـدْ

ولا تـــؤاخـــذْ خــلـيـلَ صـــدقٍ
بـــه ثـــنـــاءٌ عــلـيـكَ ســـرمَـــدْ

ودُمْ رفـــيـــعَ الـمــقـــامِ تـعـلـو
عـلـى الـثـريَّـا وهَـــامِ فـرقَـدْ

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤٣٣/٣

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٦/٣٥١-٣٥٣



(٦)

ومن شعره:

[الطويل]

إذا لم يكن يا غصنُ وصلٌ فإنني
سأقنع بالأوراق منك على كَمَدْ
فقدْ فقدَ الطرفُ القريح منامَه
وقد وهن القلبُ الجريح وقَدْ وقَدْ

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٦٥/٢

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤٤٢/٣

****





قافية الراء







(٧)

كتب مصطفى إلى جعفر الجرموزي[١] وهو بالمخا[٢] كتابًا يطلب فيه نبذة من أشعاره افتتحه بهذه القصيدة:

[مجزوء الكامل]

يـــا نـــســـمـــةً كـــالـــعـــنـــبـــرِ
عـــن ســـــاقِ جَـــــــدِّكِ شَـــمِّـــري

هُـــبّـــي مِـــــنَ اعـــلـــى مَـــكّـــةٍ
بـــالـــلـــيـــل حـــتـــى تُـــســـفـــري

وتـــوجَّـــهـــي نـــحـــو الحـــطـــيـ
ـــيـــمِ وزمـــــــزمٍ والـــمـِــشـــعَـــر

والـــبـــيـــتِ والأركـــــــانِ مَـــعْ
ذاكَ المـــــقـــــامِ الأفـــخـــر

(١) جعفر بن مطهر الجرموزي (٠٠٠ – ١٠٩٦ هـ) شاعر وأديب يمني، عمل كاتبًا لدى عبدالله بن يحيى عندما استولى على بلاد العدين، وكتب إليه مصطفى الحموي طالبًا منه نبذة من أشعاره. (انظر: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٣/٤٢٧).

(٢) المخا: مدينة يمنية تقع على شاطئ البحر الأحمر قريبة من باب المندب. (انظر: مرآة الحرمين الشريفين: ٥/٢٢).



والـــــــمَــــرْوتـــين ولَـــعْـــلَــــعٍ
وحِـــــرا وثَـــــــوْرِ الـــنَّـــيِّـــر

واســــــري إلـــــى أن تـبـلـغـي
بــــلـــدَ الــــنــبــيِّ الأطـــهــرِ

فـتـطـيَّـبـي مـــن طِــيــب ذَيْــــ
ـــيَــاكَ الـــثَّـــرى وتَــعــطَّــري

وقِــــفـــــي هِـــنـــالـــك ســاعًـــةً
فــــي روضـــــــــةٍ والمــــنـــبــرِ

ثُـــــمَّ ارجـــعـــي وَهْــــنًـــا علـى
أكـــتـــافِ أرضِ المَحْــشَـــرِ





الـــقـــدسِ والـــطُّـــورِ الـبـهـيْــ
ـــــي وصــــخـــــرةِ المـتـكـبِّــرِ

جـــــادَ الإلــــــهُ ربــوعَـــهـــا
صـــــوبَ الـــسَّــحـــاب المـمـطـرِ

وارعَـــــــــيْ هــنـــالـــك ســــادةً
لــــسِـــــواهُـــــمُ لـــــم أذكـــــرِ

بــلــدَ الـكـلـيـمِ ورُسْـــــلِ رَبْـــ
ـــبـــي والخــــلـــيـــلِ الأكـــبـــرِ



فـــتَـــبـــرَّكـــي بـــجِـــمـــاهُـــمُ

وبـــتُـــربـــهـــم فـــتـــعـــفَّـــري

وبـــكـــربـــلاءَ فـــعـــرِّجـــي

واســـري بـــروضـــات الـــغَـــري[1]

طُـــوفـــي[2] المـــشـــاهـــدَ كلَّـــهـــا

وعـــلـــى الـــكِـــنـــاســـةِ فـــاعـــبُـــري

ثـــم اقـــصـــدي وادي دِمَـــشْـــ

ـــقَ ومـــائِـــه المـــتـــحـــدِّرِ

والـــغـــوطـــةِ الـــفـــيـــحـــا ومـــا

ءِ الـــنّـــيْـــربَـــيْـــنِ[3] الـــكـــوثـــري

هـــي جـــنّـــةُ الـــدنـــيـــا ومـــأ

وى كـــلِّ أغـــيـــدَ أحـــورِ

عُـــوجـــي[4] عـــلـــى مـــصـــرٍ ومـــا

فـــي نِـــيـــلـــهـــا المـــتـــكـــدِّرِ

والـــروضـــةِ الـــغـــنّـــاء مَـــعْ

مِـــقـــيـــاسِـــهـــا الإســـكـــنـــدري

---

(١) الغري: مدينة النجف في جنوب العراق وفيها مرقد الإمام علي رضي الله عنه.

(٢) وردت الكلمة في فوائد الارتحال: «وطفي»، وهي غير سليمة نحويًّا، وصحيحها: «طوفي».

(٣) وردت الكلمة في مطبوع فوائد الارتحال: «النيرين» وفي المخطوط منه: «النيربين» وهي الأصح.

(٤) وردت الكلمة في فوائد الارتحال: «وعجي» وهي غير سليمة نحويًّا، وصحيحها «عوجي».



وبديعِها والمشتهى

وجبينِها والأزهرِ

أرضِ الخلاعةِ والصِّبا

مَجرى الجِيادِ الضُّمَّرِ

سُقيًا لها من بلدةٍ

في حسنها لم تسهرِ

فيها أُصيحابٌ لنا

غُرٌّ كرامُ المعشرِ





واللّهِ مذ فارقتُهم

فارقتُ حسنَ تَصَبُّري

باللّهِ يا نشرَ الصَّبا

إلا سريتِ كما تري

حتى تُوافي أرضَ قَحْـ

ـطانٍ ومَغنى حِمْيَرِ

حيثُ الخورنَقُ والسَّديـ

ـرُ وتُبَّعٍ ذي المِغفَرِ

فَخُذي طريقَ تِهامةٍ

واستنجدي واستخبري



ألــــصـــــادقَ الحَــــبْـــرَ الـــرَّضـــيْ

يَ الـــطـــاهـــرَ بـــــنَ مُـــطـــهَّـــرِ

ألـــطـــيّـــبَ الأصـــــــلِ الـــــذي

يُـــنْـــمـــى لحـــضـــــرةِ حـــيـــدرِ

صــــنــــوِ الـــــنــــبـــيِّ وصـــيِّـــهِ

الـــــفــــــارسِ المـــتــبــخــتــرِ

فـــهْـــو الــــكـــريمُ بـــــنُ الـكـريــ

ــمِ أوِ الـــسَّـــريُّ بـــنُ الـــسَّـــرِي





خُـــلُـــقٌ كـــمـــا شـــــاءَ الـكـمـا

لُ ورقَّــــــــةٌ لــــــم تُـــنْـــكَـــرِ

وتـــــواضُـــــعٌ مَـــــعْ عِـــــزَّةٍ

وإذا ســـطـــا كَـــغَـــضَـــنْـــفَـــرِ

ومَـــــنـــــاقـــــبٌ عَـــــلَـــــويّـــــةٌ

مـــــن عـــــدّهـــــا لـــــم تـــبـــدرِ

وفـــضـــائـــلٌ وفـــــواضـــلٌ

لمحـــــلِّـــــقٍ ومُـــــقَـــــصِّـــــرِ

ومـــــعـــــارفٌ وعـــــــوارفٌ

لـــــمُـــــعَـــرّفٍ ومُـــــنَـــــكّـــــرِ



وعـــــلـــــومُ آلِ مــحــمّــدٍ

جُـــمِــعــتْ لـــه بـتَـبـحُّـرِ

قـــلْ مـــا تـشـا مـــن مَـدحـه

لِــــــــذُرى عُــــــلاهُ وقَــــــــرِّرِ

إذ قـــد مُـتِـعـنـا بـسـيّـدٍ

مــلــكٍ جـلـيـلِ الـمـنـظـرِ

ثُـــــمَّ ابـلـغـيـه تحـيّـةً

مــنّــي إلــيــه وكَــــــــرِّري





بــــتَـــأدُّبٍ وتَـــواضُـــعٍ

وتَـــــذلُّـــــلٍ و تحــقُّـر

وتــــخــــضُّــــعٍ لمـــقـــامِـــهِ

يـــا ريــــحُ لا تـتـكَـبَّـري

وَصِـــفـــي لـــه شـوقـــي عـلـى

سـمـعـي وإن لـــم أُبْــصِــرِ

فــــالأذنُ تـعـشـقُ بـالـسـمـا

عِ لـطـيـبِ حُـسـنِ الـمـخـبرِ

ثـــم اشـــرحـــي حـــالـــي لـه

وعـــلـــى لـســانـي فـاخـبـري



قُولي له يا سيّدًا

قد حارَ فيكَ تفكُّري

لما اجتمعتُ بصِنوِكم

اَلسيّدِ المتبَصِّرِ

المنتقى الحسنِ الذي

أوصافُه لم تُحْصَرِ

يفنى الزمانُ وفضلُه

وأبيكَ باقٍ فاشكرِ



جمعَ الفضائلَ كلَّها



فعلى سِواهُ فكبِّرِ

وكذاك إسماعيلُ مَن

يسمو بحسنِ تَدبُّرِ

وجمالةٍ وجلالةٍ

ومَهابةٍ وتَوقُّرِ

ولطافةٍ وشهامةٍ

وتَعفُّفٍ وتَطهُّرِ

وتَذاكرٍ أخبارَكم

فبقيتُ كالمتَحيِّرِ



وثَملتُ من شعرٍ لكم

عذبٍ رحيقٍ مُسكِرِ

رقَّ انسجامًا فهْو في

ألفاظه كالسُّكَّرِ

بحلاوةٍ و طلاوةٍ

ومَلاحةٍ وتَحبُّرِ

وغريبِ معنًى رائقٍ

بسهولةٍ وتَيَسُّرِ

قِطَعٌ هي السحرُ الحلا

لُ بَلِ النظامُ الجوهري

فحبيبُ[1] أضحى عاجزًا

عن مِثلِها والبُحتري

وابنُ الحسينِ[2] مُقصِّرُ

عن شأوِها وكذا السَّري[3]

لم أستمعْ مِثْلاً لها

في حُسنِها لم أُبصرِ

---

(١) حبيب: حبيب بن أوس الطائي، أبوتمام الشاعر العباسي المعروف (١٨٨ - ٢٣١ هـ).

(٢) ابن حسين: أحمد بن الحسين الكندي، أبوالطيب المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ).

(٣) السري الرفاء: السري بن أحمد الكندي (... -٣٦٦ هـ) شاعر عباسي من أهل الموصل، مدح بشعره سيف الدولة وجماعة من الوزراء والأعيان ببغداد. (انظر: الأعلام: ٨١/٣).







فـــاســـمـــعْ فـــديـــتُـــك مـهـجـتـي
لـــعُـــبَـــيْـــدِ رِقٍّ أصـــغـــرِ
بـــالـــوصـــلِ مـــن أشـــعـــاركـــم
لا زلـــــتَ غـــيـــرَ مُـــكَـــدَّرِ
فـــأبـــوالـــقـــصـــيـــدةِ مـصـطـفـى
لـــلـــفـــضـــلِ أفـــخـــرُ مُـشـــتـــري
خُـــذْهـــا إلـــيـــك غـــريـــبـــةً
يـــا بـــنَ المُـــطَـــهَّـــرِ واعـــذرِ
بِـــكـــرًا بُـــنَـــيّـــةَ لـــيـــلـــةٍ
مـــن نـــــازحٍ لـــم يُـــحـــقَـــرِ
مـــصـــحـــوبـــةً بمـــحـــبّـــةٍ
فـــي الـــقـــلـــب لـــم تـــتـــغـــيَّـــرِ
لا تُـــهـــمـــلَـــنَّ جـــوابَـــهـــا
مـــن تحـــتِ ســـبـــعـــةِ أبـــحُـــرِ
وعـــســـى الإلـــهُ يـــجـــود لـــي
بـــلِـــقـــاكَ فـــي ذي الأشـــهـــرِ
فـــي مـــكـــةَ الـــغـــرّاءِ جَـــمْـــ
ـــعٍ والحـــجـــيـــجِ الأكـــبـــرِ






وأُنـــــــزِّه الأحـــــــــداقَ فــي
بــســتــانِ فـضـلِـك الاخــضــرِ[1]
وأقـــــــولُ شـــكـــرًا يـــا زمــا
نُ فـــذِمَّـــتـــي لـــم تُـــخْـــفَـــرِ
واســــلـــمْ ودُمْ فـــي عِـــزّةٍ
تــعــلــو عـــــلاءَ المــشــتــري
مـــا غــــــرَّدَتْ وُرْقٌ عــلــى
أفـــنـــانِ روضٍ مُـــزهِـــرِ
ثـــم ابـــلـــغـــنَّ تحــيّــتــي
أولادَكـــــــم مــــعْ مَــعْــشــرِ
وذويــــكُـــــمُ وصِــحــابــكــمْ
بـــل كـــلَّ ظــبــيٍ جُــــؤذري

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٢/١٦٠-١٦١

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٣/٤٢٨-٤٣٢

****

---

(١) في الشطر خلل عروضي.



(٨)

كتب مصطفى إلى الأمير عبدالله الأحسائي[١] حين وصل إلى ينبع البحر:

[الكامل]




أخليفةَ الأمجادِ عبدَالله مَنْ
ورثَ السيادَة كابِرًا عن كابِرِ

أُهدي إليكَ من السلام أَتمَّهُ
وأَعَمَّهُ مَعْ شوقيَ المُتكاثرِ

وأَبُثُّ أشواقي لوالدكَ الذي
أحيا من الأفضالِ كلَّ مآثِرِ

لا زلتَ وَهْو من السعادةِ والبَها
مُتقلِّدَيْنِ بسيفٍ غيرِ باترِ

---

(١) عبدالله بن يحيى الأحسائي: (كان حيًّا ١٠٨٢ هـ) شاعر حجازي، ولد في المدينة المنورة، ونشأ بها، وكانت له صحبة مع مصطفى وتبادلا الأشعار (انظر: فوائد الارتحال: ٤٤٧/٤).





هــذا وإنّ الـعـبـدَ عـبـدَك مصطفى

وصــل الــبــلادَ بـفـضـل ربٍّ قــادرِ

ومُـــــــرادُه والــلـــهِ كـــان لـقـاكـمُ

ولَـــوَ انّـــه يـغـشـى جـنــاحَ الـطـائـرِ

لـكـنَّ أهـلـي واصــلــونَ مـعـي وهــمْ

عُـــذرَ المحــبِّ وأنـــتَ أكـــرمُ عــاذِرِ

ثــم ابـلـغـنَّ تـحـيّـتـي أصـحـابَـكُـمْ

وذويـــكُـــمُ مــن كــل ظـبــيٍ نــافـرِ




● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٣/٣١

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤/٤٤٦



(٩)

كتب مصطفى إلى حسن البوريني[١] مجيبًا على قصيدة بعثها إليه:

[الطويل]

لـكَ الـحـمـدُ يـا مـن عَـمَّـنـا فـيـضُ بِـرِّهِ
عـلـى كـلِّ فـضـلٍ لا نـقـوم بـشـكـرِهِ

هـذا جــوابُ الجـامـعِ الـفـردِ نـاظمًا
عـقـودَ الـلآلـي فــي بـدائـع شـعـرِهِ

ومـا كـان ذا قَـدْري لأنّـي مُـقـصِّـرٌ
ولـكـنـه مـنـي امـتـثـالٌ لأمـرِهِ

فـيـا فـاضـلَ الـعـصـرِ المـفـيـدَ وفـودُهُ
فـوائـدَ عـلـمٍ كـالـسـحـاب وقَـطْـرِهِ

(١)حسن بن محمد البوريني (٩٦٣ -١٠٢٤ هـ) أديب ومؤرخ وشاعر. ولد في صفورية بفلسطين وانتقل إلى دمشق وأتقن اللغات الفارسية والتركية وعني بتراجم أهل عصره، وشرح ديوان ابن الفارض، وله ديوان شعر. (انظر: الأعلام: ٢/٢١٩).





لقد جـاء فـي نـصّ «الـشـفـاءِ[1]» وإنـه

لأَلْـطـفُ مـن أنـــوارِ روضٍ وزهـــرِهِ

حـديـثٌ عـن الخُـــدْرِيِّ[2] أنّ نبيَّنا

عـليه صـــلاةُ الـلـه مَــعْ طـيـبِ نـشـرِهِ

يــقــول بـــأن الأنــبـيــاءَ أشــدُّنــا

بــــلاءً لإكــــرام الإلــــهِ وبِــــرِّهِ

وفــي ذاك إن كــان الـنـبـيُّ ليُبتلى

بـقَـمْـلٍ كـثـيـرٍ لا يُـطـاق لـكُـثـرِهِ

فـيقـتـلُـه مـن غـيـر إضـمــارِ فـاعـلٍ

ولـكـنـه يُـــروى بـإضـمــارِ ذكـــرِهِ

فـحـاولـتَ يـا بـحـرَ الـذكـاءِ مُـنـزِّهًـا

مــقــامَ نــبــيٍّ حُـــقَّ تـنـزيـهُ ســرِّهِ

فقلتَ الـنبيُّ الـقـاتلُ القملَ لـم يكنْ

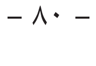
بمـقـتـولـه فـالـقـتـلُ أولـــى بـصِـغـرِهِ




---

(١) الشفاء: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» كتاب للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٤٧٦-٥٤٤ هـ) في مناقب الرسول عليه الصلاة والسلام..

(٢) الخدري: سعد بن مالك الخدري (١٠ ق هـ -٧٤ هـ) أحد الصحابة، لازم النبي عليه الصلاة والسلام وغزا اثنتي عشرة غزوة، روى عن الرسول الكريم ١١٧٠ حديثًا. (انظر: الأعلام: ٨٧/٣).



ولـكـنَّ هــذا كــان لـو لـم يَـــرِدْ بما

يُـخـالـفُـه نــصٌّ صــريــحٌ بـغـيـرِهِ

بلى ابنُ أبـي[1] الدنيا الإمـامُ روايـةً

عنِ المصطفى المختارِ أَعظِمْ بقدرِه

يصـرِّحُ أنْ قد كـانَ في الأنبياء مَنْ

لـقد مـات بالـقملِ الكثيرِ لأجـرِهِ

فـصــرَّح أن الـقـاتـلَ الـقمـلَ آتـيًا

بمُظْهَرِ لفظِ القملِ يا زَيـنَ عصرِهِ

وقـد جـاء فـي الأخـبـار أنَّ بِـرَمـلـةٍ[2]

بمسجِدها المشهورِ تقديسُ جُـدْرِهِ

مـقـابـرُ قـــومٍ خُـصِّـصــوا بـنُـبـوَّةٍ

وعِـدَّتُــهـم سـبـعـون مــاتــوا بــأســرِهِ

بـقـمـلٍ وجُـــوعٍ مُـفـرطٍ كــان موتُـهم

فـسـبـحـانَ مـن يُـفـنـي الـعـبـادَ بـقـهـرِهِ

---

(١) عبدالله بن محمد القرشي، ابن أبي الدنيا (٢٠٨ –٢٨١ هـ) من رواة الحديث النبوي، له الكثير من التصانيف في الحديث والأخبار، أَدَّب غير واحد من أولاد الخلفاء توفي في بغداد (انظر: معجم المؤلفين: ٢/٢٨٦).

(٢) الرملة: مدينة فلسطينية تقع في منتصف السهل الساحلي الفلسطيني، وقد اختط بناءها سليمان بن عبدالملك عندما كان واليًا على فلسطين. (انظر: الموسوعة الفلسطينية: ٢/٤٧٤)

يضاعفُ ما قد يشا من أجرِ مَنْ يشا

بما شاء من شيءٍ لتعظيم بِرِّهِ

وما كان هذا ناقصًا قدرُهُ ولا

قِلًى بل لتضعيفِ الأجورِ بصبرِهِ

وهذا جوابُ النجمِ يرجو قَبولَهُ

عسى اللهُ يمحو الذنبَ عنه بغَفْرِهِ

فسامحْ أديبَ الوقتِ واقبلْ هديّةً

تليقُ بمن يُهدي على حسن قدرِهِ

بقيتَ لطلابِ العلوم مؤمَّلا

يُطيِّب آفاقَ الوجودِ بعطرِهِ

- **مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٢/٢١١-٢١٢**
- **مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٣/٥٥٦-٥٥٨**

****

(١٠)

كتب مصطفى إلى محمد المرابط الدلائي[1] يستدعي منه الإجازة:

[الطويل]

مليكَ نحاةِ العصرِ علّامةَ الدهرِ
ويا عَلَمًا في الفضل مرتفعَ الذكرِ

...

وقبلَك ما كان ابنُ مالكَ هكذا
وعَمرٌو نسيناه وعاد بلا ذِكر

أَجِزْني بما ألَّفتَه وقرأتَه
على السادة الأعلام أشياخِك الغُرّ

(١) محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر الدلائي (١٠٢١ –١٠٧٩) شاعر وفقيه، ولد في زاوية الدلاء جنوب المغرب، وأخذ العلم عن أبيه وأعمامه والواردين على الزاوية، وأدى فريضة الحج والتقى في طريقه بعلماء مصر، وانتقل بعد خراب الزاوية إلى فاس حيث توفي فيها (انظر: الشعر الدلائي، عبدالجواد السقاط: ٣٥٨).





بـقـيـتَ بـقـاءَ الـدهـرِ يـا غـايـةَ المنى
وبُـلِّـغـتَ مـا تـرجـوه[1] يـا ابـنَ أبـي بكر

- **مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٦٣٣/١**
- **مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٧٩/٢**
- **عقد الجواهر والدرر: ٣٩١، وردت المقطوعة عدا البيت الثاني.**

****

(١) في عقد الجواهر والدرر: بلغت ما تهواه.



(١١)

أجاب مصطفى على قصيدة أرسلها إليه أمين المحبي[١]:

[مجزوء الرمل]

بـــاح بـالـشـكـوى عـلـى حَـــذَرِهْ
مــذ بَـــراه الحـــبُّ فــي صِـــغَــرِهْ

عـــاشـــقٌ كـــتـــمــانُ حـــالـتِـــه
لـــيــسَ يُـغـنـيـه عـلـى خَـــطَــرِهْ

لـــيـــلُـــه إن جَـــــنَّ أَرَّقــــــه
شـــوقُـــه والـــدمـــعُ فـــي أثَـــــرِهْ

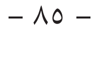
لا يُــــقـــــاويــــه تـــصُـــبُّـــرهُ
بـل يَـــبِـــتْ[٢] حــيــرانَ فــي فِـكَـرِهْ




---

(١) محمد أمين بن فضل الله المحبي (١٠٦١–١١١١ هـ) شاعر ومؤرخ سوري. ولد في دمشق وتنقل أثناء حياته فزار مصر وبلاد الحجاز وفلسطين وتركيا وعني بتراجم أهل عصره، وولي القضاء في القاهرة، وتوفي في دمشق. (انظر: الأعلام: ٤١/٦).

(٢) حذف الياء من (يبيت) غير مبّرر نحويًّا وإذ كان ينسجم عروضيًّا.



فــجــيــوشُ الــصــبــرِ مــركــبُــهــا

بــيــن نـــابِ الــلــيــثِ أو ظُــفُــرِهْ

مــا لــدى الأشــجــانِ أرفـــعُ من

ذُلِّـــــــه لــلــحــبِّ أو نَـــفــرِهْ

....

سِــيَّــمــا إن كـــانَ خــامَــره

دَلُّ مــعَــشــوقٍ عــلــى أَثَـــرِهْ

مَـــرَّ لـــي عــصــرٌ بــجِــلَّــقَ كم

طـــالَ لــيــلــي فـــي هـــوى قــمــرِهْ

عـــذّبـــتْ قــلــبــي مَــحــبَّــتُــه

وبَــقــيــتُ الآن فـــي أَسَـــــرِهْ

نــــامَ عـــن لــيــلــي وأســهــرَنـــي

لــيــس مــن لــيــلــي ولا سَــمــرِهْ

لــيــتــه وافـــــى لـــمُــدْنَــفِــهِ

فــيــزيــد الــوصـــلُ فـــي عُــمُــرِهْ

مــا رقــيــتُ الــقــلــبَ مــن لَــمَــمِــهْ

ومَــســحــتُ الجــفــنَ مــن سَــهــرِهْ

....



ولـــئـــنْ راودتُ مـــن ســنــةٍ

إنمـــا أرتـــــادُ مـــن نـــظـــرِهْ

فـــي خـــيـــالٍ لـــو ســـرى لخـفـى

مـا يُـصـيـب[1] الـصـبّ مـن ضــررِهْ

لـسـت أنــســى نـــورَ طـلـعـتِـه

بـين بِـيـضِ الحــيِّ مَـــعْ[2] سُـمُـرِهْ

وزمـــانًـــا لـــي بـعـشــرتِــهِ

عـيـبُـهُ مـا كـان مـن قِـصَـرِهْ

فـسـقـى الــرحــمــنُ جِـيـرتَـنـا

بـــينَ جَـــيـــرونَ ومُـــنـــهـــدرِهْ

....

وبــكـــى بـــاكـــي الـــغـــمـــامُ بـــهِ

بـــين مُـــنـــهَـــلٍّ ومُـــنـــهـــمِـــرِهْ

فـــلـــكـــمْ خِـــــلٍّ هـــنـــاك لـنـا

قـــد جـنـيـنـا الـــودَّ مـــن ثـــمـــرِهْ

بـــكـــلامٍ رقَّ جـــانـــبُـــه

بـــين مَـــنـــظـــومٍ ومُـــنـــتَـــثـــرِهْ

---

(١) وردت في الأصل «يصدر» وهي تخّل بالوزن، ولعلها تحريف.

(٢) ورد في المطبوع من فوائد الارتحال «من» وفي المخطوط «مع» وهي أفضل.



قَــسَــمًــا بَـــــــرًّا يُـشــفِّــعُــهُ

قــسـمـي بـالـبـيـت مــع حِــجَــرِهْ

قـــد ســلـــوتُ الـــكـــلَّ أجــمــعَــهُ

بــفــريــدِ الــعــصــرِ فـــي غُــــــرَرِهْ

وقـــريـــنِ الـــبـــحـــرِ فـــي دُررِهْ

اَلـــســـريِّ الـــبَـــرِّ فـــي سِـــيَـــرِهْ

اَلمُـجِـــــبّـــــيِّ اَلأمـــيــــــنِ عـلـى

سُـــنَّـــةِ المــخــتــارِ مـــعْ أثـــرِهْ

الإمــــــامِ الحَـــبْـــرِ ســـيّـــدِ مَـــن

خــبــرَ الأحـــبـــارَ مـــعْ خــبــرِهْ

اَلــشـــريـــفِ المـنـتـمـي نـسـبًـا

لأبـــي الــسِّـــبــطــينِ مُـفـتـخـرِهْ

مــلا[1] نُـفـوسِ الـدهـرِ مـن شـرفٍ

نـــورِ عـــينِ المــجــد مـشـتـهـرِهْ

نــشـــأةُ الــشــيــخِ الــرئــيــسِ لــه

فــلــهُ الــعــلــيــاءُ مـــن صِـــغــرَهْ

أَزَرتْ بـــالـــنـــجـــمِ هِـــمَّــتُــهُ

وهـــو زاكـــي الـفـهـم فـــي كِـبَـرِهْ

---

(١) في الشطر خلل عروضي.

كاملُ الأوصافِ ليس له

من مُدانٍ في عُلا قدرِهْ

...

وكريمُ الطبعِ ما وجدتْ

مثلَه الأيّامُ في خَفَرِهْ

وأجلُّ الناس في حَسَبٍ

بين باديهم[(١)] ومُحتضرِهْ

وعريقٌ طاب مَغرسُه

من مُحبِّ الدينِ مُنتصرِهْ

سيّدُ اَلسعدُ يخدمُه

في مُطَوَّلِهِ[(٢)] ومُختصَرِهْ

شرفُ النُّظّارِ في صفرٍ

طابتِ الأخبارُ من سِيَرِهْ

كلُّ مافي الناس من شرفٍ

فهو منسوبٌ إلى خطرِهْ

...

غُرّةُ الدنيا وزهرتُها

ما حوتْه الآنَ من غُرَرِهْ

(١) وردت في المصدر «أياديهم» وهي محرّفة.

(٢) في الشطر خلل عروضي.



ليس طولُ المدح يرفعُه
إنما اللّذاتُ في ذِكَرِهْ

صرتُ مملوكًا لحضرته
في وُرودٍ منه أو صَدَرِهْ

مذْ أتتْني منه غانيةٌ
أسكرتْ فكري على سَكَرِهْ

أخجلتْ شمسَ الضحى وحكت
وجهَه الزاهي على قمرِهْ

وأتتْ تختال في شرفٍ
كبهاء المَلْكِ في سُرُرِه

أشبهتْ في الشهر غُرّتَه
وأصيلَ الوقتِ معْ سَحَرِهْ

أو كشمسِ الأفقِ مشرقةً
أو كَعَرْفِ الروضِ في بُكَرِهْ

حرَّكتْ مني رسيسَ هَوًى
كان قبلَ الآن في فِكَرِهْ

وصفا وقتي بزَوْرتها
حين جاءتني على قَدَرِهْ

فبلغتُ الجهدَ مبتدرًا
بجوابٍ غيرِ مُعتبرِهْ

...

يا طويلَ الباعِ معذرةً
لقصيرِ الشِّعرِ[1] مُحتقرِهْ
أين درُّ اللفظ من صَدَفٍ
أين فصلُ القول من هَذَرِهْ
عفوُكَ المأمولُ يُجمله
أن يساوي الناسَ في عُجَرِهْ
ثم فضلٌ فيك منتقلٌ
من أصولٍ غيرِ مُبتكَرِهْ

...

دُمتَ في عِزٍّ مؤَبَّدةٍ
ما بدا صبحٌ لمنتظِرِهْ
وأمالَ الغصنَ ريحُ صَبًا
حرَّكَ القُمريْ على شجرِهْ

● **مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٤٨٩-٤٩٢**

● **مطـ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٤٨٩-٤٩٢**

****

(١) وردت في المصدر «السعر» وهو تحريف.



(١٢)

ومن شعره الذي اختاره أمين المحبي:

[الخفيف]

حـدِّثـا عـن صَـبـابـتـي واصـطـبـاري

واروِيـــا لـوعـتـي بـخـالـي الـعِـذارِ

وخُـــذا عــنِّــيَ الــهـوى فـحـديـثـي

صــحَّ فـيـه وسُـلْـسِـلـتْ أخْـبـاري

يـا رفـيـقـيَّ مـن زمـان الـتـصـابـي

والـتَّـصـابـي مـظـنَّـةُ الادِّكــار

عـلِّـلانـي بـالـخـنـدريـس لـعـلّـي

أرشــق الـقـلـبَ بـارتـشـاف الـعُـقـار

واسـقـيـانـي وروِّحــانــي بـــرَوْحٍ

كـالـعقـيـق المــذاب وَسْــطَ الـنُّـضـار

مـن يـــدَيْ شــادنٍ بـنـفـسـيَ أفـديـ

ــهِ مـلـيـحًـا خـلـعـتُ فـيـه عِـذاري

مـائـسِ الـقَـدِّ أحـمـرِ الخــدّ أحـوى

كـامـلِ الـحـسـن أهــيـفٍ مـعـطـار

إن تـبـدَّى فـي ظلـمـة الـلـيـلِ أبـدى

مــن سـنـاه لـنـا ضـيـاءَ الـنـهـار

وإذا مــا رنــا بــطَــرْفٍ خـفـيٍّ

سـلـبـت مُـقـلـتـاه مـنّـي قــراري

وإذا زارنـــي عـلـى غـيـر وعـدٍ

عـبـقـتْ ريـحُـه إلـى كـل دار

كـم أداري الـعـذولَ والـوجـدُ قـاضٍ

بـافـتـضـاحـي فـي حـبّـه واشـتـهـاري

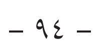
سـاحـري بـالـلِّـحـاظ مـاذا عليه

لـو يُـوافـي مُـضـنـاه فـي الأسـحـار

● نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: ٤٧٠/١

****





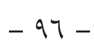




قافية العين








(١٣)

في رثاء حسن البوريني:

[مجزوء الرمل]

صــابــرًا إن كـنـتَ أو جَـزِعـا
لا يــــردُّ المــــوتُ مـــا فَـجَـعـا
كـــلُّ[1] دهـــرٍ مَـــرّ مـا خَـلَـدتْ
أهـــلُـــه فـــيـــه ومــــا رَجَـــعـــا
ولــكــم خـــطـــبٍ ألـــــمَّ وقـــد
بِـــتُّ مـــن أحـــزانـــه وَجِـــعـــا
ســـاهـــرًا مـــا كـــان مـنـطـبـقًـا
جـفـنُ عـــينٍ لـــي ومـــا هـجـعـا
لـــو أبـــثُّ الحـــــزنَ مـــا نـفـعـا
أو بـكـى لـي الـقـلـبُ مـا نَجَـعـا
يـــا خـلـيـلا كـنـت أذخــــره
أشـتـكـيـه الـــهـــمَّ والجـــزعـــا

(١) وردت في الأصل: «كم» وهو تحريف.



هــل أرى لـــي عــنــده جــزعًــا

إنّ غــمّـــي زاد واجـتـمـعـا

مــن غــرامـــي أشــتـكــي لـهـبًـا

خـــالـــطَ الأحـــشـــاء وانـقـطـعـا

فـــرقـــةُ الأحـــبـــاب مـــؤلمـــةٌ

لـو تُـصـيـب الـصـلـدَ لانـصـدعـا

أعــلـــمُ الــدنــيــا وإن بـسـطـتْ

لـفـتًـى يــزهـــو لـــه خُــدعـــا

صـــفـــوُهـــا قـــد شـــابـــه كـــدرٌ

عِــرسُـــهـا بــالحـــزن قــد شُـفِـعـا

إنّ هـــذا المـــوتَ لــم يَـــدَعــا[١]

مــن تــعــلّــى أو مَـــنِ اتَّـضــعـا

مـــن دعـــاه المـــــوتُ لــيــس لـه

مُـــنـــتـــزاحُ عــنــه حــيــث دعـــا

سُـــوقـــةً إن يَـــــدْعُ أو مــلــكًــا

تُـــلـــفَـــه لـــبّـــى وقـــد سـمـعـا

---

(١)«لم يدعا» لا تستقيم نحويًّا، وتصح العبارة إذا قلنا «لن يدعا».

ليت شعري هل أرى رجلا

بنواهي العقل مُرتدعا

كم لنا رُزءًا بموت فتًى

كان منه القلبُ مُنصدعا

قلْ لبورينَ[1] اندبي حسنًا

جَهْبذا في العلم مذ برعا

في فنونٍ ما لها عددٌ

شأنُه قد جلَّ وارتفعا

فدمشقُ الشام تندبُه

فقدُه للقلب قد نزَعا

بحرُ علمٍ يرتوي ظَمَئي

من حَيَا أفضالِه جُرَعا

من أتاه نال مطلبَه

طالما للناس قد نفعا

أسدٌ في الدرس صولتُه

راحَ منها القِرنُ منقطِعا

(١) بورين: بلدة فلسطينية تقع جنوب نابلس، وتعدّ جزءًا من جبال نابلس. (انظر: الموسوعة الفلسطينية: ١/٤٣٣).

كــــان بـــالإتـــقـــان مُـــرتـــديًـــا

كــــان بـــالإنـــصـــاف مُـــدَّرِعـــا

أيُّ مِـــنـــطـــيـــقٍ ومـــنـــطـــقُـــه

قـــد حـــلا فـــي ذوق مـــن سـمـعـا

مِـــصـــقَـــعُ مـــن حـــســـن خُـــطـبـتـهِ

زيَّـــــنَ الأعـــــيـــــادَ والجُـــمـــعـــا

قـــد بـــكـــاه الـــنـــحـــوُ فـــي نُـــــدَبٍ

مُـــعـــربًـــا عـــن وصـــفـــه ونـــعـــى

وبـــكـــاه الـــشـــعـــرُ مـــن شَـــجَـــنٍ

بـــبـــحـــور الـــــدمـــــعِ إذ سـجـعـا

وبـــكـــى الـــتـــاريـــخُ مـــا كـــتـــبـتْ

كـــفُّـــه مـــن حُـــســـن مـــا جـمـعـا

وبـــكـــى الـــتـــفـــســـيـــرُ مـــنـــه فـــتًـــى

قـــد وعـــــى أنـــــواعَـــــه ورعـــــى

مـــا لـــه فـــي الـــعـــصـــر مـــن شَـــبَـــهٍ

مـــثـــلُـــه قـــد عَـــــزَّ وامـــتـــنـــعـــا

مـــا أظـــــنّ الـــــدهَـــــر يُـــخـــلـــفـــه

لا يـــكـــنْ فـــي مِـــثـــلـــه طـمـعـا



فـسـقـى الـرحـمـنُ تُـربـتَـه

غـيـثَ عـفـوٍ سَـحَّ وانـهـمـعـا

أنـتَ يـا اَلـلـهُ خـالـقُـنـا

وإلـيـه الـكـلُّ قـد رجـعـا

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٢/٢١٢

● مطـ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٣/٥٥٨-٥٦٠

****







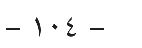





قافية الفاء











(١٤)

ومن شعره:

[مجزوء الرجز]

يـــا مـــن أطـــعـــتُ حـبَّـهـم
مُــخـــالـــفًـــا مُـــعـــنّـــفـــي

الـــلـــهُ فـــي مُـــحـــافـــظٍ
عـــلـــى الـــوَلا وَفِـــي وَفِـــي

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٦٥/٢
● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤٤١/٣

****





(١٥)

كتب إلى القاضي محمد مرزا الرومي(١):

[البسيط]

يا مفردَ العصرِ في علمٍ ومعرفةٍ
وعفّةٍ ما عهدتُها لمن سلفا

ورفعةٍ لمقام العلمِ مغترفًا
من نهله ولأهل العلم مُعترِفا

قد عزَّ مقدارهُ أيامَ دولتكم
وازداد معْ شرفٍ فيه لكم شرفا

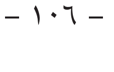
● **مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٥٣٥-٥٣٦**

● **مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٥٣٣**

****




(١) محمد مرزا الرومي (ق ١١ هـ)، أحد قضاة الدولة العثمانية، برع في الفقه والتفسير والعربية وترقى في المدارس وولي قضاء أدرنة، ثم قضاء مكة سنة عشرين وألف هجرية، وبعد عزله عاد إلى إستامبول وتوفي هناك. (انظر فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٥٣٢).





(١٦)

أجاب على قصيدة أرسلها إليه عزالدين بن علي الحسني[١]:

[البسيط]

وافــى كـتـابُـكَ يــا سـلـيـلَ المصطفى

أفــديــه نــفــسـي زائــــرًا قــد شَــرّفــا

- مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٢٩١/٣
- مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٥١٦/٥

****

---

(١) عزالدين بن علي بن الحسن بن محمد النعمي الحسني، ولد ١٠٣٢ هـ بعتود ونشأ بالدهناء في حجر العلوم العقلية والنقلية والأدبية، وارتحل إلى صعدة ثم إلى صنعاء يتلقى العلم عن مشايخها، وعين قاضيًا لكنه عزل عن القضاء بعد فقد بصره، اجتمع به مصطفى عام ١٠٩٦ هـ باللحية. (انظر: خلاصة الأثر: ١١١/٣).









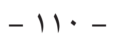


قافية القاف













(١٧)

ومن شعره:

[المتدارك]

وبـــديـــعُ الـــطـــوقِ لـــه صَـــــدْحُ

فـــي الـــــدوح يُـثـيـر بـــه الحُـــرَقـــا

أبــــــدى مـــنّـــا فِـــرَقًــــا فِـــرَقـــا

غُـــصْــنًـــا لَــــدْنًـــا وَرَقًــــــا ورَقـــا




● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٦٥/٢

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤٤١/٣

****










قافية الكاف











(١٨)

وقال مناقضًا لما جاء في بيت[١] للشاعر محمد الحتاتي[٢]:

[البسيط]

أفـدي الـذي زارنـي بالليل مختفيًا
وهــو بــادي الـوجـه ضـاحـكُـهُ[٣]

كالبدر سناءً وأسنى منه[٤] طلعتُه
مفلَّجُ الثغرِ جعدُ الشعرِ حالكُهُ

وقـال لـي وظـلامُ الليلِ معتكِرُ
وضـوء صبحيَ قد ضاقتْ مَسالكُهُ

---

(١) البيت الذي ناقضه مصطفى، وهو لمحمد الحتاتي، ويتكون من شطرين في بيتين:

.... وليس يقتلني إلا تَهتُّكُه

مع الورى ومعي وحدي تعفّفه ....

فوائد الارتحال: ١/٢٦٢.

(٢) محمد بن أحمد الحتاتي: (٠٠٠ – ١٠٥١ هـ) شاعر وقاض مصري، نشأ بالقاهرة، وأخذ عن علمائها، ثم ارتحل إلى تركيا ومكث فيها مدة طويلة، عَلّم في مدارسها، وصار رئيس الأطباء بأسكي سرابا، ثم عاد إلى مصر فتولى قضاء أسيوط والجيزة. له مؤلفات عديدة. (فوائد الارتحال: ١/٢٥٨).

(٣) خلل عروضي في الشطر.

(٤) خلل عروضي في الشطر.



تُحبّني عاشقي طبعًا فقلتُ له
وحقِّ عينيكَ قلبي أنت مالكُهُ
فقال هاكَ سُلافَ الريقِ فاهْنَ به
فليس في طعمه الصَّهبا تُشاركُهُ
وبات عندي بثوبَيْ عفّةٍ وتُقًى
أذوبُ وَجْدًا إذا ما ارتجَّ عاتكُهُ
وليسُ يفرحني إلا تَعففُّه
مع الورى ومعي وحدي تَهاتُكهُ

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٢٤٩-٢٥٠

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٢٦٢

****









قافية اللام













(١٩)

أجاب مصطفى بعد أن كتب إليه يحيى بن مهدي منسكي[١] يستدعي تاريخًا:

[الخفيف]

يـا بـنَ مـهـديٍّ يـا كـريمَ الـخـصـالِ
وأخـا الـفـضـلِ والـنُّـهـى والـكـمـالِ

قـد أتـانـي بـديـعُ لـفـظٍ شـهـيٍّ
صـارقـلـبي مـن بـعـدِه فـي اشـتـغـالِ

وذكـرتُ الـهـوى وعـهـدًا تَـقَـضَّـى
بـعـدَ أن لـم يـكـنْ يمـرُّ ببـالـي

وطـلـبـتُـمْ مـن المـحـبِّ كـتـابًـا
بـفـنـونِ الـتـاريـخ قـد صـارَ حـالـي

(١)يحيى بن مهدي المنسكي: (١٠٧٠–١٠٩٣)، ولد بالدهناء من أرض صبيا، والتقى به مصطفى الحموي في جدة، وكانت بينه وبين يحيى مكاتبات، وقد توفي بمكة المكرمة (انظر: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٦/٢٨٥).





فلكَ العذرُ يا بنَ وُدِّي فإني

لِـذُرا مكّةٍ أشدُّ رحالي

وإذا عدتُ جُدَّةً بعدَ عيدٍ

ستراه دانَتْ إليك المعالي

وابقَ واسلمْ في ظلِّ عيشٍ ظليلٍ

ما تغنَّى الحَمامُ في الأطلالِ



- مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤١١/٣
- مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٢٨٥/٦-٢٨٦
- خلاصة الأثر: ٤٧٥/٤ : الأبيات من الأول إلى الخامس، ثم السابع.
- عقد الجواهر والدرر: ٣٨٠-٣٨١

****



(٢٠)

قال ردًا على قصيدة بعث بها إليه أحمد بن محمد مكي[١]:

[الطويل]

أيــا أحــمــدًا حــاز المحــامــدَ كلَّـها
ويـا فـاضـلًا مـن دونـهِ كلُّ ذي فضلِ

ويـا مـاجـدًا يسمـو علـى كـل مـاجـدٍ
ويا من غدا في اللطف ممتنعَ المِثْلِ

ويــا نجـلَ مـكَـيِّ الـهـمـامِ الــذي لـه
فضـائلُ إن أعـددتـها فـهي كـالـوبلِ[٢]

ويــا بــنَ كــريمِ الـطبـع مـكّـيِّ الـذي
تـرفَّـع شــأنًـا عـن مُـقـاربـة الـبُـخـلِ

(١) أحمد بن محمد بن مكي بن ولي الدين الحنفي (١٠٥٩-١١١٠) شاعر حجازي، ولد في المدينة المنورة، وتلقى علومه عن أبيه وعن مشايخ المدينة، ولم يقبل أي منصب عرض عليه. وقد التقى به مصطفى الحموي في المدينة المنورة سنة ١٠٨٣ هـ وتبادلا الأشعار. (انظر فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٢/٣٥٣).

(٢) البيت ورد في نفحة الريحانة، ولم يرد في فوائد الارتحال.

على كل حالٍ لستُ مُحصٍ ثناءه

ولكنَّ بعضَ القول يكفي عن الكلِّ

بنفسيَ أفدي منكَ لفظًا كلؤلؤٍ

وشعرًا رقيقًا صار ذكراه لي نُقْلي

بعثتَ بخَوْدٍ يُخجل البدرَ حسنُها

عقيلةِ أترابٍ بها صرتُ ذا شُغْلِ

سُلافيّةِ الألفاظ شمسيّةِ السنا

مُداميّةِ الألمى بحال الشجيْ تُملي

فأفرشتُها خدِّي وأوسدتُها يدي

وصيَّرتُها مني بمنزلة الخِلِّ

وبِتُّ أُعاطيها ثنائي منظَّمًا

عليك وجادتْ عند ذلك بالوصلِ

وقبَّلتُها ألفًا و ألفًا وضِعْفَها

فحيَّاك ربُّ العرشِ يا زاكيَ الأصلِ

ذكرت بها عهدَ الصبابة والهوى

وكنتُ تناسيتُ المحبةَ بالفعلِ[1]

فلا زلتَ يا قُسَّ الفصاحةِ محسِنًا

ودمتَ قريرَ العين مجتمعَ الشملِ

---

(١) البيت ورد في نفحة الريحانة ولم يرد في فوائد الارتحال.

وقد زرتَ عبدًا صادقًا في وداده
وشأنُ الموالي هكذا يا مُنى السُّؤْلِ
ولكنْ على[1] حظي العتابُ وإنه
على جمعِ شملي بالأحبة ذو بُخلِ
وأعلمتَني أنْ قد شفقْتَ عليَّ من
مقالةِ عُذّالٍ وليسوا أُولي عدلِ
أبثّكَ حالي يا أخا الودِّ والصفا
ودهريَ أشكو وهو منّيَ في حِلِّ
رماني زماني بالصبابة والهوى
وذلك تقديرُ الذي جلَّ عن مثلِ
وقد كان ظني الوصلَ من فاتِني الذي
تحكَّمَ في بعضي[2] هواه وفي كلِّي
فعاملَني من غير ذنبٍ بهجره
فيا سيدي هل يستحقُّ الجفا مثلي
فمن أجل ذا قد ضاق صدري بما أرى
ولم أتجَّرعْ بعد ذا غُصصَ العذلِ
على أنني لا أرتضي الذلَّ في الهوى
وإن كان أولى لي التحمُّلُ للذلِّ

(١) أضيفت «على» اعتمادًا على ما ورد في المخطوط وفي «نفحة الريحانة».
(٢) في المخطوط: «بعضي» وهي أصح من «بعض» التي وردت في المصدر المطبوع.



ولكنْ أمرتَ العبدَ يصبرُ للقضا
فصبرًا على أحكام ذي الأعِينِ النُّجْل

ودُمْ راقيًا أوجَ الفضائل باقيًا
وتخدمُك العلياءُ في الجِدِّ والهزلِ

وقابلْ جوابي بالقَبول تكرُّمًا
فإني مُقرٌّ بالقصور مع الجهلِ

وحسنُ اختتامي بالصلاة مسلِّمًا
على أحمدٍ خيرِ الخلائق والرُّسْلِ

كذاك على الآلِ الكرامِ وصحبِه
نجومِ الهدى ما حنّ صبٌّ إلى الأهل

- **مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٩٧٠-٩٧٢**
- **مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٢/٣٥٤-٣٥٦**
- **نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: ٤/٣٨٥-٣٨٦**
(ورد النصّ عدا البيت الثالث والأبيات الثلاثة الأخيرة)

****



(٢١)

كتب مصطفى معاتبًا زيد بن محمد[١]:

[الخفيف]

سَيِّدي مالكي إليك الدخيلُ

من أمورٍ في شرحها لا أطيلُ

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٢٨٦/٢

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٨٥/٤

****

(١) زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد (١٠٧٥-١١٢٣هـ) شاعر وعلامة يمني، ولد في صنعاء، وأخذ عن مشاهير عصره ولازم الإمام محمد بن المتوكل إسماعيل وبعد وفاة الإمام لزم بيته وعكف على التدريس وله عدة مؤلفات. (انظر: أعلام المؤلفين الزيدية: ٤٤٧/١).



(٢٢)

ومن شعره:

[المتدارك]

مــا أوّلُ بُــعــدكَ عــن كَــلِــفٍ

بــالــصــدِّ إذا مــا أوّلَــــهُ

فــارحــمْــه وصِــلْــه فــإن لَــهُ

بــك فـــرطَ هـــوًى ولَــــه ولَــهُ





● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٦٥/٢

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤٤١/٣

****

(٢٣)

ومن شعره:

[المتدارك]

لــــلّــــهِ غـــــــزالٌ واصـــلــنـــي

سَـــحَـــرًا فـمُـلـئـتُ بـــه جَـــذَلا

وأبـــــــانَ عـــــواذلَــــــه فـجـلا

كَـــرْبًــا مـــنّـــي وحَـــــلا وحَـــلا

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٦٥/٢

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر:٤٤١/٣

****











قافية الميم









(٢٤)

وقال مناقضًا ما جاء في أحد أبيات حسن البوريني[1]:

[المجتث]

إن رمـــتَ أمـــرًا فـشـاورْ

فـالــلــهُ أولــى وأعــلَــمْ

وقـــد هـــدانــا لــهــذا

فــي آل عــمــرانَ فـاعـلـمْ

لا تــســتــبــدَّ بــــرأيٍ

مـــن لا يُـــشـــاورُ يـنـدمْ

• مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر:٢/٢١١

• مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٣/٥٥٥

****

---

(١)لحسن البوريني بيت يقول فيه:

ولا تُشاورْ حكيمًا   فخالقُ الخَلْقِ أحكمْ



(٢٥)

لمصطفى تقريظ على كتاب «تهنئة الإسلام ببناء بيت الله الحرام»، للميموني[1]:

[البسيط]

لـلـه روضـــةُ عـلـمٍ أنـبـتـتْ حِـكَـمـا
وطـيَّـبـتْ بـشـذاهـا[2] الـبـيـتَ والـحَـرَمـا

قد جمَّعَتْ مُوجباتِ المدحِ إذ جمعَتْ
ما كان من دُرَرٍ[3] في غيرها انقسما

نـــزِّهْ جـفـونَـك فـيـهـا واقـتـطـفْ ثـمـرًا
من دَوْحها وانتشقْ زهـرًا بها ابتسما

نظمتَ فـي سلكها مـاكـان منـتـثـرًا[4]
فـي غيرهـا مـن لآلـي الـعـلـمِ فانتظما

(١) إبراهيم بن محمد الميموني (٩٩١-١١٣٩هـ) فقيه ومحدث من أهل مصر، له مجموع من الحواشي والشروح على كتب التفسير والحديث والفقه. (انظر: الاعلام: ٩٧/١).
(٢) وردت في المطبوع «لشذاها» وفي المخطوط «بشذاها» وهي أصح.
(٣) وردت في المطبوع «جوهر» وهو مخل بالوزن، وفي المخطوط: «من درر» وهي أفضل.
(٤) وردت في المطبوع «منتشرًا». وفي المخطوط «منتثرا» وهي أفضل.



جلَّت محاسنُها عن أن تُعدَّ ولو

أفنيتَ في عدِّها القرطاسَ والقلما

للّهِ درُّ إمامٍ حاك حُلَّتها

شادَ بها من بناء الدين[1] ما انهدما

جزاه ربُّ الورى خيرًا وصَيَّره

بحرمة اللهِ طولَ الدهر محترَما

• مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر:١٠٣/٢

• مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٣٤/٣

****

(١) وردت الكلمة في المطبوع «الدهر» وفي المخطوط: «الدين» وهي أفضل.





(٢٦)

كتب إلى الحسن بن إسماعيل بن الإمام قاسم بن محمد[١]:

[السريع]

بـاكـرْ إلـى الحـانِ بـبـدرِ الـتَّـمـامْ
فـقـد دعـا داعـي الـهـوى لـلـمُـدامْ

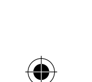
وحـــرِّكِ الأوتـــارَ وانـــشـــدْ لـنـا
شـعـرًا بـديـعَ الـسَّـبْـك والانـسـجـام

واغـتـنـمِ الأوقـــات [حـــتّـــى][٢] إذا
طـــاب لـــك الـــوقـــتُ وقـــمْ يـــا غـلام

وعـــاطِـــنـــي صـــهـــبـــاءَ مـشـمـولـةً
قـد عُـتِّـقـتْ مـن عـهـدِ سـامٍ وحـام

(١) الحسن بن إسماعيل بن القاسم بن محمد (١٠٥٠ –١٠٨٠ هـ)، من أعيان بني القاسم، أخذ العلم عن شيوخ بلده، تولى في حياة والده إمارة تهامة، ثم عزل بعد وفاة والده، ولزم بيته، واجتمع به مصطفى الحموي أثناء زيارته لليمن، وحضر بعض دروسه، ومدحه بقصائد. (انظر فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤٧٢/٣).

(٢) ما وضع بين معقوفين لإقامة الوزن.





وصـــانَــهـــا لـــلـفــرس كــســـرى ومَـــن

تـــلاهُ مــن تـلـك الـمـــلـــوك[1] الـــقِـــدام

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر:١٧٨/٢

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤٧٣/٣

****





(١) وردت الكلمة في المطبوع «الملاك» وفي المخطوط «الملوك» وهي أفضل.



(٢٧)

وقال مضمنًا الشطر الأخير من البيت الثاني:

[الوافر]

يُـؤَمِّـنُـنـي الـعـذولُ عـلـى تـلافـي
بمَـن مِـن لحـظـه لـي راشَ سـهـما

رويــدكَ كـيـف أسـمـعُ مـنـك عـذلا
(ولـي أذنٌ عـن الـفـحـشـاء صَـمّـا)

● سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: ٣/٥٢.

****





قافية النون













(٢٨)

كتب إلى الحسين بن الناصر بن عبدالحفيظ الشرفي[١]

[الكامل]

أشــــذا نـسـيـمٍ هــبَّ مــن يـبـريـنِ
ورَوى حـديـثَ الـطَّـيـبِ عـن داريـنِ

وأتــى الـريـاضَ فـغـرَّدت أطـيـارُهـا
طـربًـا عـلـى أشـجـانـهـا بـفـنـونِ

أرأيــتَ مـثـلـي هـائـمًـا ومـتـيَّـمًـا
بـتـلـهُّـفٍ وتـلـهُّـبٍ وحـنـيـنِ

أو هِـجْـتَ مـشـتـاقًـا لجـيـرة حـاجـرٍ
أو كـاد يـحـكـي لـوعـتـي أو دونـي

واهًــا عـلـى سـفـح العـقـيـقِ وإن جرى
ذكــراه لـم أمـلـكْ عـقـيـقَ جـفـونـي




(١) الحسين بن ناصر بن عبدالحفيظ الشرفي: (٠٠٠٠ - ١١١١ هـ) عالم يمني كبير، له شرح على القصيدة البوسية وهي في الفقه، وله مؤلفات أخرى، وتوفي شهيدًا في فتنة المحطوري. (انظر: البدر الطالع بمحاسن من كان بعد القرن السابع: ١/١٥٨).





ويــلاهُ بــرقُ الـشــامِ قـد قـطـع الـكـرى

مــذ شِـمْـتُـه كـالـصـارمِ المـسـنـونِ

أرضٌ غرستُ بها الصبابةَ والـهوى

فـجـنـيـتُـه كَـمَـدًا وفـرطَ أنـينِ

وسُقيت كـأسَ البـينِ من زمـن الصِّبا

رَنِـقًـا فـغـيَّـرمـنـه صـفـوَ شـؤونـي

فـارقـتُـهـا ورُمـيـتُ بـين مـعـاشـرٍ

فـكـأنـهـم لـم يُـخـلـقـوا مـن طـينِ

إن رمـتُ ودًا مـنـهـمُ فـكـأنـمـا

حـاولـتُ شَـهْـدًا مـن فـم الـتِّـنّـينِ

ورحـلـتُ جـسـمًا والـفـؤادُ بـهـا ثـوى

فـمـتـى بـرؤيـتـهـا تـقـرُّ عـيـونـي

وأقـيـمُ ثَـمّـةَ بـين غـوطـة جِـلَّـقٍ

فـي ظـلِّ جـيـرانٍ عـلـى جـيـرونِ

وأبـرِّدُ الحـرَّ الـذي فـي مـهـجـتي

في الجسر من بردى ومن[1] جِسرينِ

وأنـزِّه الأحـداقَ بـين حـدائـقٍ

فـيـهـا عـلـى تـلـك الـظِّـبـاء الـعِـينِ

(١)ورد في المصدر: «برداء أو» وهو تحريف.



وأرى مشاهدَ أنبياءٍ قد ثَوَوْا

مابين جبهتها إلى عِزْنينِ

إن جئتَ أرضَ السجعة الفيحا فقفْ

بتَأدُّبٍ وتَواضُعٍ وسُكونِ

وابلغْ رياحينَ التحيةِ يا صَبا

سُقيتْ بماء اللطفِ والتحسينِ

كالعنبر الوردِ الأريجِ ورونقِ الـ

ـوردِ البهيجِ ونُضرةِ النِّسرينِ

لجنابِ طَوْدِ العلم واحدِ عصرهِ

ومُجدِّدِ المفروضِ والمَسنونِ

ذاك الحسينُ سليلُ ناصرَ من له

عبدُالحفيظِ وراثةُ التمكين[1]

هو واحدُ الدنيا بلا ثانٍ له

أحيا الإلهُ به علومَ الدين

هو عالمُ الشَّرَفينِ غيرُ مُدافَعٍ

هو جامعُ الشَّرفين بالتَّبيينِ

السيدُ المِنطيق صاحب ذيلهِ

فخرًا على الزهراء والنِّسرينِ

(١) في المصدر «من عبدالحفيظ» ومن زيادة تؤدي إلى خلل في الوزن.



عــلاّمـــةٌ نِــحــريــرُ عـــالٍ قـــدرُه

لا يـرتـضــي فــي فـضـلـه بــالــدونِ

قـاضـي الـقـضـاةِ مقيمُ شــرعِ نبيِّه

بـالـعـدل والإحــســانِ لـيـثُ عـريـنِ

ورث الــســيــادةَ عــن أبـيـه وجَـــدِّهِ

عـبـدِالحـفـيـظ الـشـامـخِ الـعِـرْنـيـنِ

أنـــوارهُ فــي المشـرقـين قـدَ اشـرقـتْ

وفـشــتْ فـضـائـلُـه بـــأرض الـصـين

شُـــهِــرتْ مـنـاقُـبـه وعـــمَّ نـوالُـه

كـالـنيل كـلَّ الـنـاسِ أو سَـيْـحـونِ

وحـــوى عــلـومَ الآلِ آلِ مـحـمـدٍ

فــغــدت تـتـيـه بـــه لـــيــوم الــديــنِ

مـــاذا أقـــول وقــد تـكـامـلَ وصـفُـه

في كل علمٍ بل هــو[1] فـي العشرينِ

حَـبْـرٌ عـلـيـه لا يُـقـاوم فــي الـعـلا

فـــي مــجــده فـــردٌ بـغـيـر قَــريــنِ

أدبٌ يـروقـك مـن فـصـاحـة لـفـظِـهِ

مـــاذا أبـــوتمّـــامَ وابـــنُ حــســيــنِ[2]

(١) لسلامة الوزن يجب عدم نطق الواو في «هو».

(٢) ابن حسين: هو المتنبي.



اللـــهُ أكـبـرُ مـا أجــلَّ صـفـاتِـه

وأتمَّــهـا فــي مـوضـع الـتحـسـينِ

مــن رام عـلـمًـا نـافـعًـا فـلـيأتِـه

يـلـقـاه بـحـرًا زاخـــرًا بـفـنـون

ويـــرى لـديـه مـواهـبًـا قُـدسـيّـةً

مـشـحـونـةً مـن عـلـمـه المـخـزون

مـــولايَ أشــواقــي إلـيـك تـراكـمـتْ

وتـزاحـمـتْ والـصـبـرُ غـيـرُ معين

والـعـينُ فـي أرقٍ والـدمـعُ مـا رقـا[1]

والـقـلـبُ فــي قـلـقٍ بـغـيـر سـكـون

قـد جـاءنـي مـنـكـم بـديـعُ رسـالـةٍ

تُغني اللبيبَ عن ابنةِ الـزَّرَجـونِ[2]

بـفـصـاحـةٍ وبــلاغــة وســلامــةٍ

مـن كـلِّ سَـقْـمٍ لـفـظُـهـا يُـبـريـنـي

ورأيـــتُ مـنـك كـرامـةً فـي ذكـركـم

لـلـقـاسـم الـراضــي أمـــينِ الـديـنِ

---

(١) في الشطر قلق عروضي.

(٢) ابنة الزرجون: الخمر.



السّيدِ المنصورِ دام جلاله
بحرِ العلوم وشامخِ العِرنينِ
فهو الإمام بنُ الإمامِ المنتقى
من سادةٍ تُنمى[1] إلى ياسينِ[2]
صلَّى الإله عليه بعد نبيِّه
والآلِ والأصحابِ والسِّبطَيْنِ
وإليكَها شاميّةً من نازحٍ
بالكاف قُدِّرَ بعده والنونِ
ترجو جوابًا منك كي تعلو على
أقرانها في صنعة الموزونِ
هذا وسيّدُنا العليُّ مقامُه
حليفُ الفضل خيرُ[3] خدينِ
يُقريكمُ منه السلامَ وإنه
لَمحبُّكم في الله حقَّ يقينِ
والمصطفى بنُ الفتحِ ناظمُ عِقدِها
يرجو دعاءً منك بالتأمينِ

(١) في المصدر «ينمو» وهو تحريف.
(٢) ياسين: النبي محمد عليه الصلاة والسلام.
(٣) في الشطر قلق عروضي.



يُعطي الجليلَ من المقاصد في الدُّنا

ومــن الـعـلـوم كـهـيـئـة المـكـنـونِ

وعـلـيـك ألــفُ تحـيّــةٍ بــالــودّ قد

قُــرِنــتْ بـسـابـق عـالـم الـتـكـويـن[1]

مـا غــرَّدتْ وَرْقــا عـلـى فَـنَـن الحـمـى

وجــــرتْ عِــــذابُ مـيـاهِـه بـعـيـونِ

وابلـغْ سـلامـي الأهـلَ والإخــوانَ مَـعْ

أولادِكـــــم أهـــلِ الـتُّـقـى والـديـنِ

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر:٢/٢٤٧-٢٤٨

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٤/٨٤-١٨٦

****

(١) هذا البيت ذكر في المصدر المخطوط ولم يذكر في المطبوع.

(٢٩)

الشيخ مصطفى بن فتح الله الشامي الحموي نزيل مكة[١] المشرفة وفد إلى صنعاء سنة ثمان بعد مائة وألف... معاشرة أهلها، واعترفوا بفضله ولم يبق من يشار إليه في ذلك الحين إلا كاتبه، وكان حسن العشرة طيب الأخلاق فخف على القلوب ولبث بصنعاء برهة وما زال يتردد إلى حضرةالخضراء والمواهب. وعاد إلى وطنه بمكة المشرفة فلبث فيها ما شاء الله ثم عاد إلى اليمن ونزل ذمار فمات بها في سنة سبع أو ثمان عشرة مائة وألف، وشعره ليس بالغاية القصوى، ولا بالمطروح أبدًا، ومما حضرني له عند الرقم قوله إلى بعض أدباء صنعاء مراجعًا:

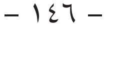
[السريع]

أودى بـــيَ الـعـشـقُ وأشـجـانُـهُ

والحــــــبُّ لا يُمــكــن كـتـمـانُـهُ

(١) من مقدمة القصيدة في المخطوط.





وذاب قلبي من هوى شادنٍ

حلَّ بصنعا عزّ سُلوانُهُ

يوسفُ حُسنٍ بيَ من هجره

بكاءُ يعقوبٍ وأحزانُه

ذكّرني الوردَ شذا عَرفهِ

والمسكَ والعنبرَ جُلّانه

يصدّ عني وهو لي مالكٌ

يا ليت شعري كيف رِضوانه

كم ليلةٍ راقبتُ فيها الدجا

شوقًا إلى لقياه ولهانه

سهرانُ ليلٍ ما له آخرٌ

يرجوه مُضنى القلبِ حَيرانه

أشكو النوى والصخرُ رقّ لي

وقلبُه يزداد أضغانه

ما من فؤادٍ لان لي جانبًا

والصبرُ قد هُدِّمَ بُنيانه

غادرني من غدره باكيًا

تسيل من دمعيَ غُدرانه



قـد حُـمّـل المـدنـفُ غِـبَّ الـهـوى

حُـمْـرٌ لـه الأحـداقُ هـمـيـانـه

لـيـت الـذي روّعـنـي بـالـهـوى

مـن بـعـد قُـربـي عـاد إحـسـانـه

[...][1] قـد زمّ مَـطـيًّـا لـه

طـوتْ بِـسـاطَ الأنـسِ أظـعـانـه

يـا حـاديَ الـعِـيـس عـسـى وقـفـةٌ

لـمـربـعٍ قـد حِـيـل فَـتّـانـه

يـنـشـد عـنـه أهـلَـه عـلّ أنْ

تحـول عـمّـن شـطِّ أشـطـانـه

مـا حـلـتُ عـن عـهـدي وحـبّـي لـه

حـتـى يـضـمّ الـصـبَّ أكـفـانـه

وهـو بـقـلـبـي فـي الـسُّـويـدا ثـوى

بمـنـزلِ شُـيِّـدَ أركـانـه

تَـغـزُّلـي فـي حـبّـه مُـؤنـسـي

إن تَـغـربْ عـنّـيَ غِـزلانـه[2]

ويـلايَ لا صـبـري غـداةَ انـثـنـى

عـنـي مُـقـيـمُ شـانَـهُ شـانُـه

(١) كلمة غير مقروءة

(٢) في الشطر خلل عروضي.



أقسـمَـتُ بـالـبيت الـعـتـيـق الـذي

بــطــحــاؤه لــلـقــلــب ريــحــانــه

مــا كـنـتُ أدري أن وَشْـــكَ الـنـوى

ضـــــربٌ مـــن الأزجـــــال عُـنــوانــه

فـيـا عـذولــي فــي الـهـوى كُـفَّ عن

عــذلــي فـحـبـي غـــاب شـيـطـانـه

لـيـت ظـهـيـرَ الحـــبّ فــي رُشـــدِه

وغــايــتــي فـــي الحـــبّ إدمـــانــه



● مخطوط: ذوب الذهب في محاسن من شاهدت من العرب وأهل الأدب: ١٥٣.

● وردت الأبيات الثلاثة الأولى في «نفحات العنبر»: ٣/ ٥٩٠.

****



(٣٠)

وكتب إلى علي بن هادي المنسكي:

[البسيط]

فخرَ الصِّبا وعلى الأكناف من يمنٍ
بالمنسكيِّ الذي للخير أولانا

...

شفى بشِعرٍ له قلبًا نما مرضًا
من شدة الشوق للأوطان هيمانا

فلو رآه ابنُ هاني[1] معْ فصاحتهِ
لما بَنَى لبيوتِ الشعر أركانا

سبحانَك اللهُ ما أوليتَ من نعمٍ
لفردِ العصرِ من قد فاق سَحْبانا[2]

---

(١) ابن هانئ: محمد بن هانئ الأزدي (٣٢٦–٣٦٢هـ) شاعر، أندلسي، سخّر شعره لمدح خلفاء الفاطميين وقوادهم في تونس (انظر: معجم المؤلفين: ٣/٧٥٧).

(٢) سحبان وائل (٠٠٠ – ٥٤ هـ) من قبيلة باهلة، أحد خطباء العرب المشهورين، ويضرب به المثل في الفصاحة، عاش في الجاهلية وأسلم في زمن النبي عليه السلام ولم يحتمع به. (انظر: الأعلام: ٣/٧٩).





لا زال في عيشةٍ خضراءَ طيّبةٍ

ما اشتاق صَبٌّ غريبُ الدارِ أوطانا

- مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر:٣/٢٣٤
- مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ٥/٣٧٢

****












قافية الهاء













(٣١)

قال في رثاء خاله محمد بن حسين الأشقر[1]:

[البسيط]

سقى الإلهُ ضريحًا أعظمُ مَنْ

حوى من الفضل أسناه وأغلاهُ

خالي محمدُ المرحوم مَن عظمتْ

عندي مُصيبتُه مذ جاء مَنعاهُ

قد كان فينا كريمًا سيّدًا عَطِفًا

بمثله بخلتْ أهلٌ به تاهوا

وطَوْدُ علمٍ على مافيه من خُلُقٍ

ورقّةِ اللفظِ مذ يُبدي ثناياهُ

وكان بَرًّا شفيقًا بي وكنتُ له

عبدًا مُطيعًا لأمرٍ كان يرضاهُ



(١) محمد بن حسين الأشقر العقيلي (١٠٢٤-١٠٩٤ هـ) ولد في حماة ثم انتقل إلى دمشق ورحل بعدها إلى مصر حيث تلقى تعليمه على علماء الأزهر، وتردد إلى الحجاز واليمن، وتوفي بالقاهرة. (انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: ٣/٤٤٤).





وكـم لـه مـن أيـادٍ قـد أطـال بـها
علـيَّ مـذ كـنتُ طـفـلًا كيف أنسـاه
أبكـي عليه إذا جُـنَّ الـظـلامُ ولـي
عليه دمـعٌ يحـاكـي الـدُّرَّ مَـرآهُ
كـلُّ المـصـائـبِ عـنـدي بـعـدَ فَـجعتـهِ
قـريبـةٌ مـذ سـحـابُ الـتُّـربِ غـشَّـاهُ
ولـو يُـفـدَّى بنفسي كـنـتُ مُـفـديَـه
بـهـا يـقـينًـا وحـسـبـي الـشـاهـدُ الـلـهُ
عليه مـنـي سـلامُ الـلـه مـا صـدحـتْ
عـلـى غـصـون أراك الـروحِ وُرقـاهُ
إن رمـتَ تـاريـخَـه صـادًا فـزده وقـلْ
مـحـمـدٌ فـي جِـنـان الخُـلـدِ مـأواهُ

● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٣٠٣-٣٠٤

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١/٣١٣

****





قافية الياء













(٣٢)

وكتب إلى صديقه عبدالرحمن الذهبي مادحًا[١]:

[مجزوء الكامل]




مـــا لـلـحـبـيـبِ ومـــا لِــيَــهْ
أفـــديـــه بـــي وبمـــالِـــيَـــهْ

قـــد صــــدَّ عــنـــي نـائـيًـا
مــنّـــي وغَـــيَّـــرَ حـــالِـــيَـــهْ

أتـــــرى يـــجـــودُ بـوصـلـــهِ
وأشـــــمُّ مـــنـــه الـــغـــالِـــيَـــهْ

وأقـــبّــــلُ الـــثـــغـــرَ الــــذي
مـــنـــه شِـــفـــا أَســـقـــامِـــيَـــهْ

(١) عبدالرحمن بن محمد الذهبي (١٠٥٥ - ١١٢٨ هـ) شاعر ومؤرخ سوري، ولد في دمشق وتنقل بين الحجاز ومصر واليمن، وجمع تراجم لشعراء عصره في كتابه «نفحات الأسرار المكية ورشحات الأفكار الذهبية، توفي في اليمن. (انظر: الأعلام: ٣/٣٣٢).





يا قاتلي بصدودِه
أشغلْتَ منّي بالِيَهْ

أشكو إليكَ صبابتي
والعينُ منّي باكِيهْ

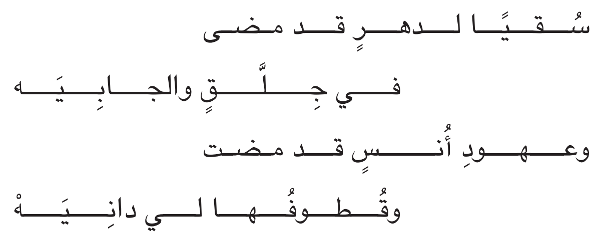
وقِيامَتي قامتْ على
تلك الخُدودِ القانِيَهْ

فإلامَ تهجُرني بلا
ذنبٍ لديك بدا لِيَهْ



وعلامَ تمطلُني فقد
أَشْمَتَّ بي عُذَّالِيَهْ

وأتى الهوى منّي على
ما لم يمرَّ ببالِيَه



وجفاك بدري لم يكنْ
في فكرتي وحسابِيَهْ

سُقيًا لدهرٍ قد مضى
في جِلَّقٍ والجابِيَه

وعهودِ أُنسٍ قد مضت
وقُطوفُها لي دانِيَهْ



ذِكـــــري لـــهـــا لا يـنـقـضـي

مَـــــعَ أنّـــهـــا لـــي نــاسِـــيَـــهْ

حــيـــثُ المُـــــــدامُ يُــديــرُهــا

ظــبـــيٌ رقـــيـــقُ الحـــاشِـــيَـــهْ

ونــعــيــمُــنــا لـــثـــمُ الخُـــــدُو

دِ مـــن الـــغـــوانـــي الـغـالـيـهْ

والـــــــروضُ بــــاكَـــرَهُ الحَـيـا

والـــــــوردُ فــيــه حــيــاتِـيَـهْ





والمــــــــاءُ يـــجـــري فـــوقَـــه

مــثــلَ الـــلُّـــجـــينِ الـصـافِـيَـهْ

والــــــوُرْقُ فــيــه تُـعــيــد لـي

ذكـــــرى الــعــهــودِ المــاضِـــيَـــهْ

والـــريـــحُ تــعــبــثُ بـالـغـصـو

نِ أبـــثُّـــهـــا أحـــوالِـــيَـــهْ

وتَـــبـــثُّ لـــي ذِكَــــــرَ الــهــوى

فــتُــثــيــرُ لـــي أشــجــانِــيَــهْ

يـــا حـــــاديَ الــعِــيــس الـتــي

فـيـهـا الـــبـــدورُ الـــزاهِـــيَـــهْ



قـــفْ بـــي قـلـيـلًا نـحـوَهـم

واشـــــرحْ لــهـم أشـــواقِــيَـــهْ

وانـــشـــدْ هــنــالــكَ غـــادةً

مـــن أهـــلِ تـلـكَ الـنـاحِـيَـهْ

واذكـــــرْ لــهـم مـــا قـــد جـرى

يـــومَ الـــنَّـوى مـــن جــاريـــهْ

قـــد أقـــصـــدَتْ قـلـبـي وكـــا

نَـــــتْ لـــي بـلـحـظٍ رامِــيَـــهْ

وَثَـــــوت صـبـابَـتُـهـا بـقَـلـ

ـبـي ثـــم شَـــبَّـــتْ نـــارِيَـــهْ

ولِـحـــاظُــهـــا المَـــرْضـــى شِـفـا

أمــــــراضِ قـلـبـي الـــرابِــيَـــهْ




وَعَــــــــدتْ مُــحِــبًّـــا قُـبـلَـةً

فـــوفَـــتْ وأعـــطـــتْ ثـــانِـيَـــهْ

ثـــم انـــثـــنـــتْ تِـيـهًـــا وقـــا

لَـــــتْ لـــي أهـــذي كـــافِـيَـــهْ

فـــأجـــبـــتُـــهـــا بـــتـــوجُّـــعٍ

أفـــديـــكِ هــــذي الـــشـــافِـيَــه



مَــــــرَّتْ وخَــــلَّـــفَـــتِ الــفــؤا
دَ رهــــــينَ عـــينٍ بـــاكِــيَــهْ
لــم يَــبــقَ مــنّــي لـغـيـرِهـا
وأبــــيــــكَ أدنـــــى بــاقِــيَــهْ
لـــكـــنْ فــــــؤادي قـــد سـلا
بمـــديـــحِ خـــيـــرِ صِـــحـــابِـــيَـــهْ
مــن كـنـتُ مــن زمــنِ الـصِّـبـا
والــــــــذاتُ مــنــه ذاتِــــيَــــهْ
الــفــاضــلُ الــلَّــسِــنُ الــذي
جــمــعَ الــصــفــاتِ الــبــاهِــيَــهْ
ذو المــنــطــقِ الــعَــذبِ الــذي
فــيــه ومــــنــــه دوائِـــــيَــــهْ
عــبــدُ لـــرحـــمـــنِ[1] غُـــذِي
دَرَّ الـــعـــلـــومِ الـــعـــالِـــيَـــهْ
وتــــفــــجَّـــرَتْ مــنــه يـنـا
بــيــعُ الــكــمــالِ الــضــافِــيَــهْ
ورقـــــى بــــــذروةِ شِــعــرِهِ
هــــامَ الــسِّــمــاكِ الــسـامِـيَـهْ

(١)وردت في المصدر: «عبدالرحمن» ويختل بها الوزن ولعلها تحريف.



وســــمــــا بــــهــــمَّـــتِـــهِ ومـــا

أدراكَ مـــاهـــي مـــاهِـــيَـــهْ

شـــاعَـــتْ لَـــعـــمـــرُكَ بـيـنـنـا

فـــي حَـــضْـــرِنـــا والـــبـــاديَـــهْ

مـــع فـــكـــرةٍ وقَّـــــادَةٍ

وســـريـــرةٍ هـــي صـــافِـــيَـــهْ

فـــخـــرًا لـــه فـلـيَـهْـنِـهِ

هـــذي الـــعـــلـــومُ الـــزاهِـــيَـــهْ





سـبـحـانَ مَـــنْ جـعـلَ الـفـصـا

حَـــةَ فـيـه طـبـعًـا بـــادِيَـــهْ

والحـــمـــدُ لـــلـــه الـــذي

بـــلـــغْـــتُ فـيـه مُـــرادِيَـــهْ

ورأيـــتُ بـــحـــرًا زاخِـــرًا

بـــعـــيـــونِ عـــلـــمٍ جـــارِيَـــهْ

أنـــســـى بـــفـــضـــلِ يَـــراعِـــهِ

أهـــلَ الـــعـــصـــورِ الخـــالِـــيَـــهْ

وحـــوى الـــفـــضـــائـــلَ والـــفـــوا

ضـــلَ والـــنُّـــهـــى فـــي نـــاحِـــيَـــهْ

والدينَ والمعروفَ في

أُخرى وليستْ خافِيَهْ

وإليكَها شامِيَّةٍ

أضحَتْ بمكةَ سامِيَهْ

واعذرْ فإنَّ قريحتي

جَمَدَتْ وعادت خاوِيَهْ

والشعرُ عني بانَ مُذْ

قد بِنْتُ عن أحبابِيَهْ

وتركتُه قصدًا على

أني ملكْتُ قوافِيَهْ

وهجرْتُ إخوانَ الصَّفا

ولزمْتُ بابَ الزاوِيَهْ

إلاكَ يا بنَ مَودَّتي

وشقيقَ نفسي العانِيَهْ

فاسلمْ ودُمْ مُتمتّعًا

في عيشةٍ لك راضِيَهْ

وصلاةُ ربّي دائماَ

تغشى رسولَ إلهِيَهْ



مـــــع آلـــــــــهِ وصِـــــحــــــابِـــــه

أهـــــلِ الـــعـــهـــودِ الـــوافِـــيَـــهْ

مـــا هـــــبَّ مـــن نجــــدٍ صَـــبـا

مـــع شَـــــمْـــــألٍ ويَمـــــانِـــيَـــهْ

والـــعــــبـــدُ عـــبـــدُك مـصـطـفـى

يـــرجـــو الـــدُّعـــا بـــالـــعـــافِـــيَـــهْ



● مخ: فوائد الارتحال ونتائج السفر:٢/١٣٧-١٣٨

● مط: فوائد الارتحال ونتائج السفر: ١٣٧/٥-١٤٠





فهرس القوافي







****



المراجع والمصادر

أولاً - المخطوطات:

- ذوب الذهب بمحاسب من شاهدت بعصري من أهل الأدب، محسن بن الحسن بن القاسم، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم ١٠٥٦.
- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر، مصطفى بن فتح الله الحموي، دار الكتب المصرية، رقم ٣١٨٧.

ثانيًا- المطبوعات:



- اتحاف الأحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن بعض أهل العصر، أحمد بن محمد قاطن، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، (ط ١)، ٢٠٠٨م.
- الأعلام: خيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، (ط ٩)، ١٩٩١م.
- أيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا البغدادي، عناية: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ٢٠٠٨م.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، أشرف على الترجمة محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، بيروت، (ط ٣)، ١٩٨٨.







- عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، محمد بن أبي بكر الشلي، تحقيق: إبراهيم المقحفي، مكتبة تريم ومكتبة الإرشاد، صنعاء، (ط١)، ٢٠٠٣م.
- علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، (ط١)، ١٩٩١م.
- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، مصطفى بن فتح الله الحموي، تحقيق: عبدالله الكندري، دار النوادر، دمشق، بيروت، الكويت، (ط١)، ٢٠١١م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط١)، ١٩٩٣م.
- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، محمد بن محمد زبارة، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٩٥٦م.
- نفحات العنبر في تراجم وأعيان فضلاء اليمن في القرن الثاني عشر، إبراهيم عبدالله الحوثي، تحقيق: عبدالله الحوثي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، (ط١)، ٢٠٠٨م.
- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد أمين المحبي، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (ط١)، ١٩٦٧م.
- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليلة، إستانبول، ١٩٥٥م.

****



المحتوى





****





